

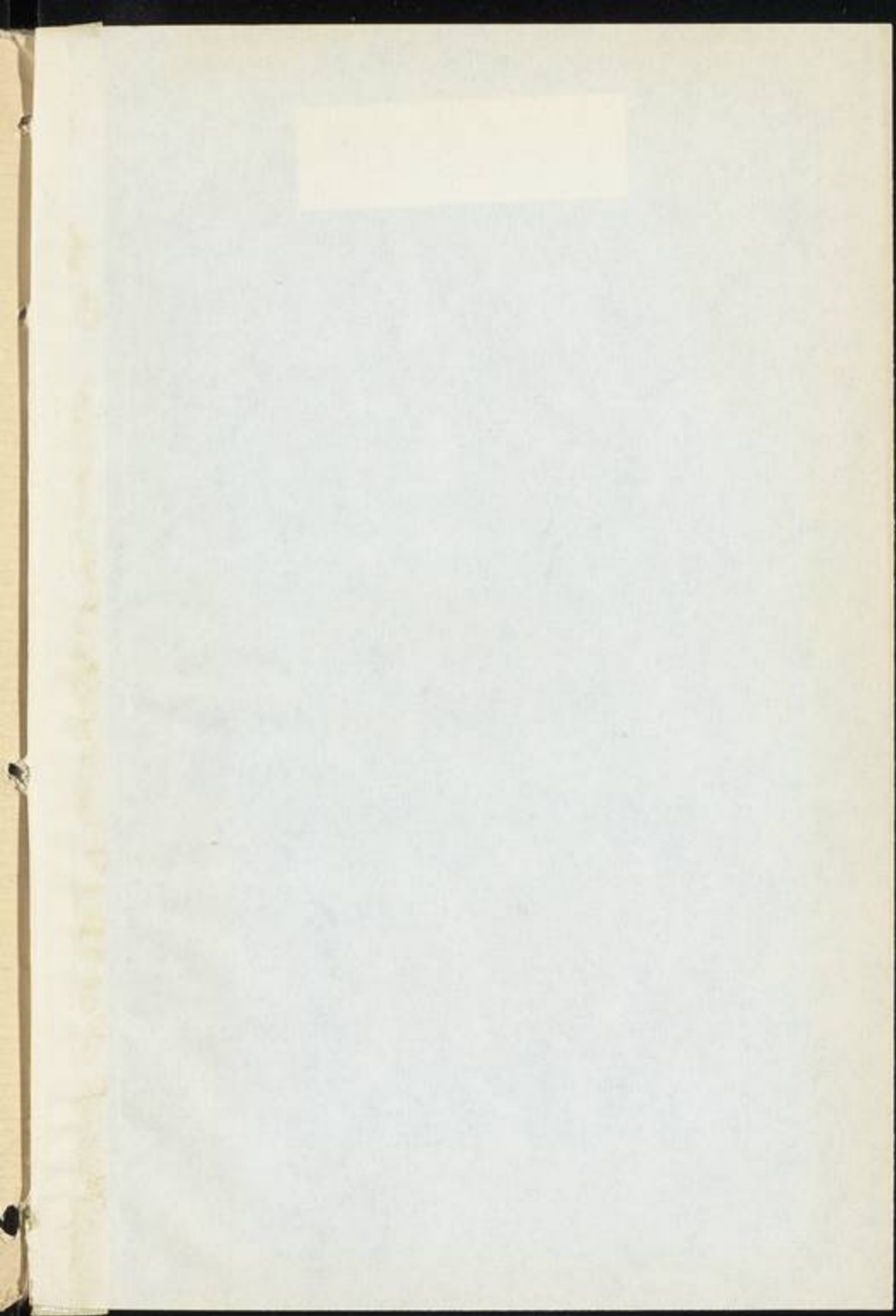


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DUPL>



32101 038157341



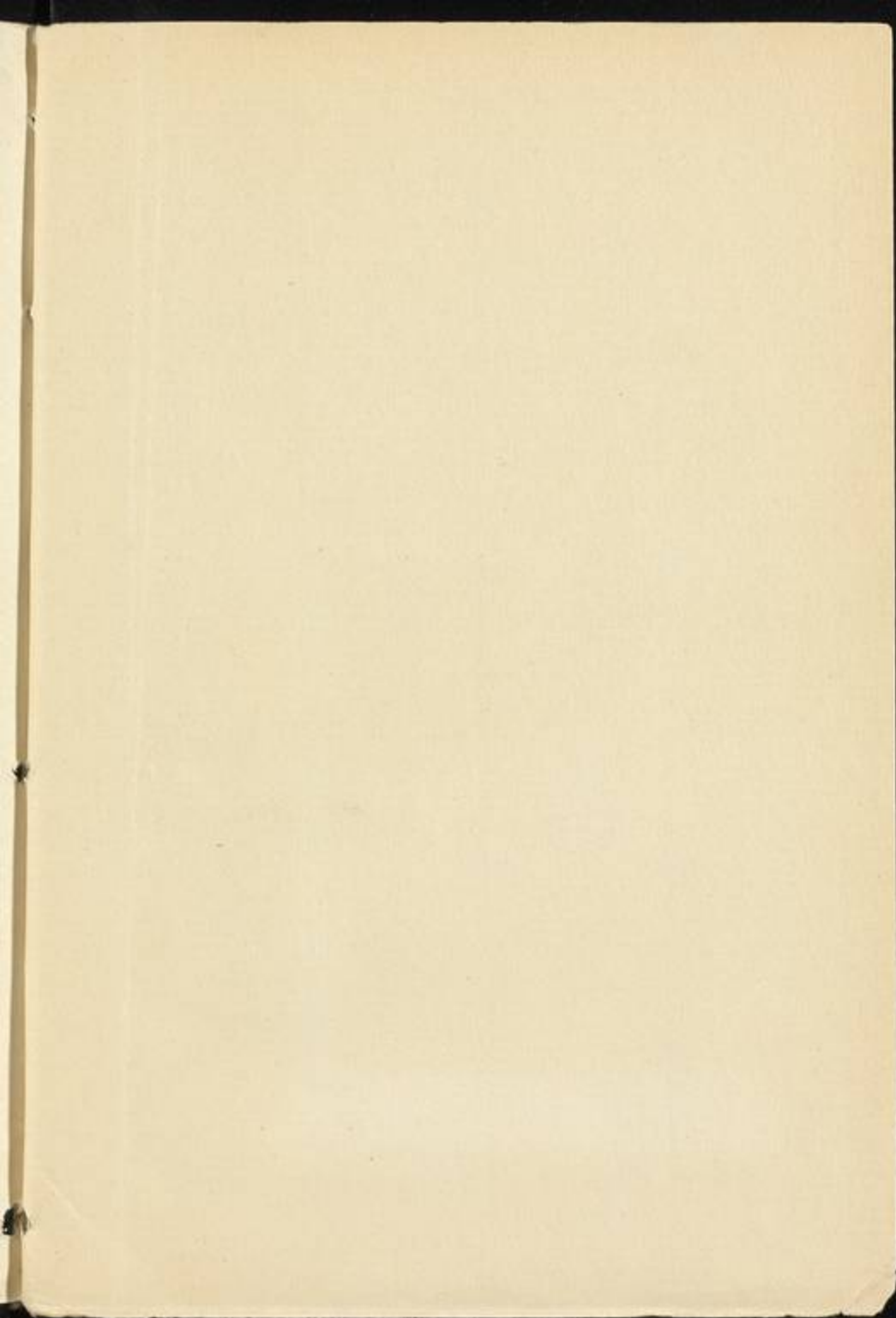
توفيق الحكيم

# تحت شمس الفكر

القاهرة

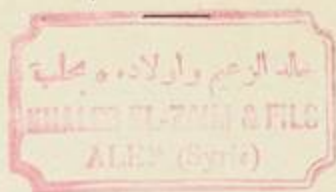
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية

١٩٣٨



al-Hakim, Tawfiq

توفيق الحكيم



# تحت شمس الفكر

Tahta shams al-fikr

القاهرة

مطبعة دار المعارف المصرية

١٩٣٨

2271

255

.392

.1938



# كتب توفيق الحكيم

التي نُسرت

محمد } (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ومطبعة المعارف  
(عام ١٩٣٦)

شهرزاد } (مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤ وترجم ونشر في  
باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو  
الأكاديمية الفرنسية)

أهل الكهف : (مطبعة مصر ومطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)

عودة الروح } (مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣ . وترجم ونشر بالروسية  
في ليننجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية في باريس عام  
(١٩٣٧) (في جزئين)

أهل الفن : (مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

مسرحيات } (المجلد الأول : سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصه في  
توفيق الحكيم } (القلب ، جنسنا اللطيف . (مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

عهد الشيطان : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

# « تابع » كتب توفيق الحكيم

## التي نشرت

المجلد الثاني : الخروج من الجنة ، أمام شباك التذاكر ،  
الزمار ، حياة تحطمت . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر عام ١٩٣٧)

مسرحيات  
توفيق الحكيم

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب  
في الأرياف

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

عصفور من  
الشرق

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

تحت شمس  
الفكر

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)

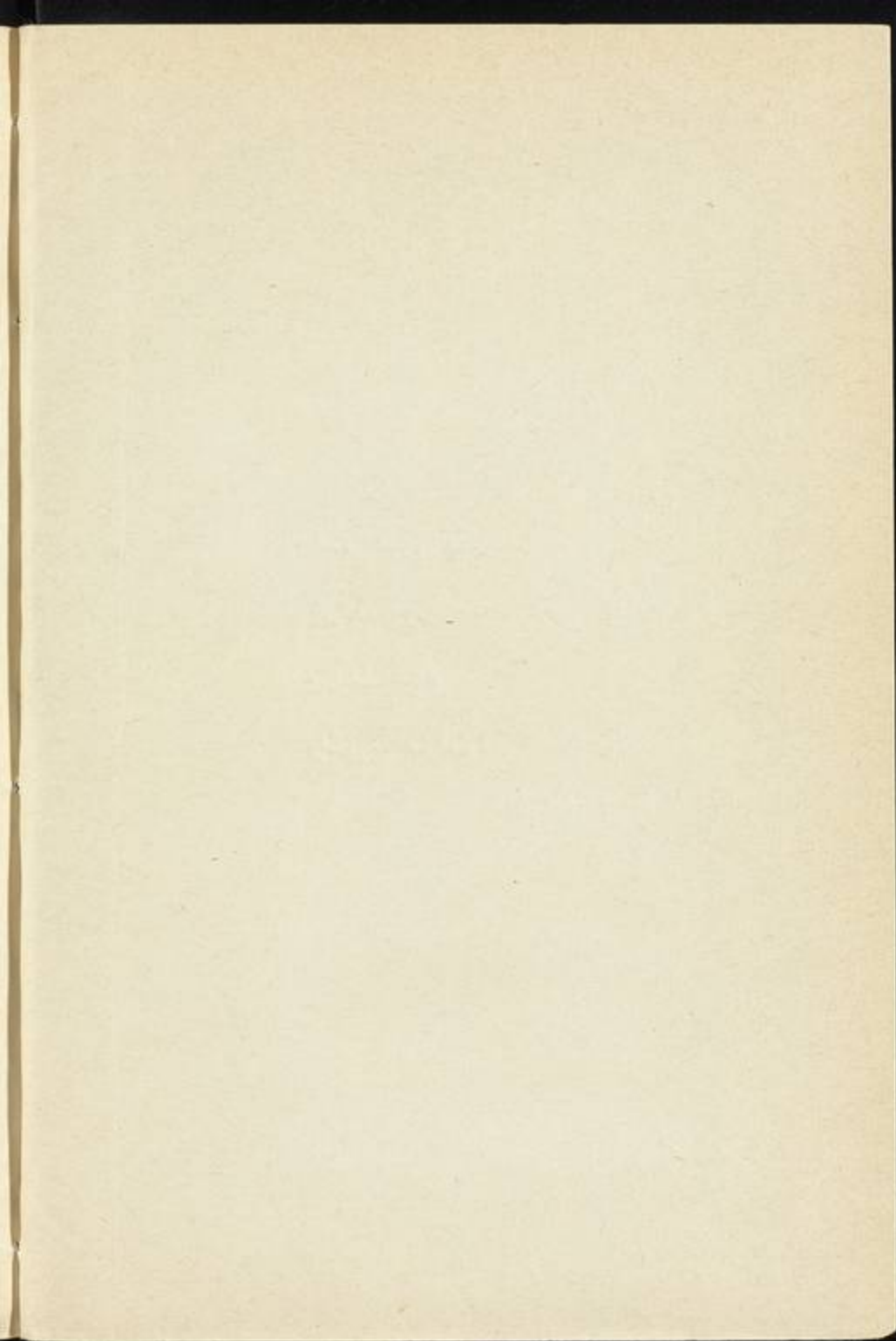
تاريخ حياة  
معدة

تحت شمس الفكر

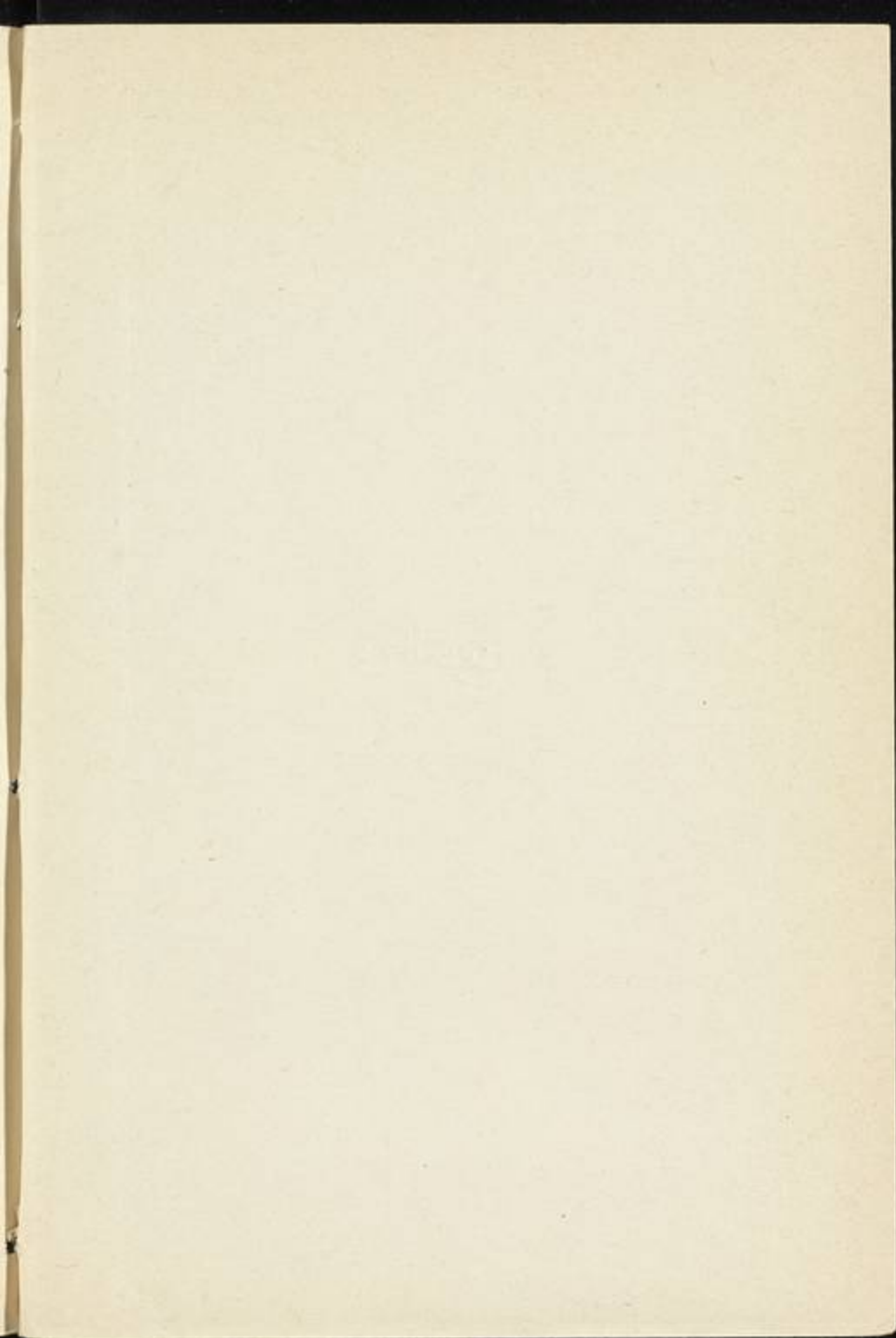
عرفت النور

ورأيت الجمال

ولكنني .. اهترقت !



في الدين



## منطقة الايمان

حينما كنت وكيلاً للنائب العام كنت أرى عجباً في قاعات المحاكم وجلسات التحقيق ؛ وكنت أفكر كثيراً في أمر ذلك الشرير الذي طالعت صحيفة حياته فإذا آثام ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامي متطلعاً إلى السماء ، ويأبى أن يقسم بالمصحف كذباً . هذا الآدمي قد انطلقت غرائزه الدنيا لا يقوم لها شيء ، لكن بقيت برغم هذا في نفسه منطقة عذراء لم يتطرق إليها فساد : منطقة العقيدة ! أهنك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟ كذلك كان يدهشني أمر صديق من خيرة القضاة ، كثير الورع ، حريص على العبادة والصلاة ؛ ومع ذلك بقي عقله حراً من كل قيد . ما يدور بيننا حديث في الخالق والخليقة حتى يذهب هو في

التدليل والمنطق كل مذهب إلى أن يقع في الإلحاد وإنكار الجنة والنار . ويتنادى المؤذن بالصلاة فإذا القاضى يسرع مخلصاً إلى ذلك الدين الذى قال فيه منذ لحظة قولاً عظيماً . أهنالك إذن حد فاصل بين العقيدة والعقل ؟

إذا قلنا مع القائلين إن العقل والقلب والغريزة ملكات ثلاث منفصلة إحداها عن الأخرى ، فإن هذا القول يؤدي حتماً إلى نتائج غريبة قد تعدل من نظرتنا إلى الأشياء . ولعل أول ما يفهم من هذا الاستقلال بين الملكات تباين ألوان الحقيقة لدى كل منها ؛ فما يصدق عند القلب ، قد لا يصدق عند العقل . بل إن كل ملكة من تلك الملكات تسيطر على عالم مختلف جد الاختلاف عن عالم الأخرى . يقابل ذلك في المحسوسات تلك الحدود والحواجز بين الحواس ، فعالم البصر منفصل



عن عالم السمع ، والحقيقة البصرية غير الحقيقة السمعية ،  
وما يعتبر موجوداً في منطقة العين لا يعتبر موجوداً في  
منطقة الأذن ، فهذا الحجر الساكن حقيقةً تراها العين  
المبصرة ، ولكن الأذن لا تدرك ولن تدرك هذه  
الحقيقة ، ولن تعرف مطلقاً ما هو الحجر وما شكله ،  
لأن عالمها وهو عالم الأصوات لا يخطر له على بال أن في  
الوجود عالماً يسمى عالم المرئيات . فالعقل لا يدرك إلا  
ما يلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه . والحقيقة العقلية  
ليست الحقيقة المطلقة ، وليست الحقيقة كلها . ولكنها  
الحقيقة التي يستطيع العقل أن يراها من زاويته . فإذا  
كانت العقيدة مرجعها القلب ، فإن العقل لن يرى منها  
إلا الشطر الذي يستطيع أن يراه ، ويظل محجوباً عنه  
الشطر الواقع في دائرة القلب . فوجود الخالق الجبار  
المنتقم الرحمن اللطيف لا شك فيه عند القلب ؛ أما العقل

فإن استطاع بالمنطق أن يتصور وجود الخالق ، فإنه قد يرتاب في صحة تلك الصفات المنسوبة إليه ، وقد يراها في منطقها صفات آدمية أسبغها البشر على خالقهم إجلالاً له ، لأنهم وهم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التي هي في عرفهم مرادف الإكبار والتقدير . أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل ، وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟ هل يستطيع الكبد في جسم الإنسان مثلاً أن تحيط إدراكاً بحقيقة شكل الإنسان الخارجي وهي جزء منه داخل فيه ؟ إن كل ما تدركه الكبد هو وجود تلك المواد التي تمر بها كل يوم فتحولها إلى إفرازات دون أن تدري من أين جاءت ، ولا إلى أين تذهب . العقل أيضاً يرى الأحياء كل يوم تدور دورتها دون أن يدري من أين جاءت ولا إلى أين تذهب . فالحقيقة العقلية أو العلمية لا يتجاوز علمها الكائنات التي تمر

بالحواس؛ ومن يحمل العقل أكثر من قدرته فهو إنما يريد منه المستحيل، كمن يطلب إلى الكبد مضغ الطعام. فالحقيقة العقلية أو العامية شيء، والحقيقة الاحساسية أو الدينية شيء آخر؛ وإن رجال الدين يقعون دائماً في الخطأ، إذ يسمون بسمة الظفر كما قال رجال العلم قولاً يتفق مع الدين، ويقطبون تقطيب الغضب كما نقض رجال العلم أسس الدين. وما أحراهم في كلتا الحالين أن يسموا غير مكثرين بسمة الصفاء واليقين، وأن يعتقدوا تمام الاعتقاد أن العلم في كلا الحالين كاذب عندهم وإن صدق، وأن لا شأن للعلم بهم، وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العلم ودائرة بحثه، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء دون أن يسمع القلب طرقة واحدة من طرقات معوله، وأن أولئك الملحدون الذين سخروا عقولهم الكبيرة لتفنيد الدين وهدم أصوله والشك والتشكيك

في جوهره ووجوده ، لم يستطيعوا لحظة واحدة أن يسكتوا صرخات القلب الحارة الصاعدة إلى ذلك الموجود الاسمي الذي بيده نفوسهم . إن عقولهم كانت ترغى وتزبد بالكلام المعقول والمنقول ، وقلوبهم في معزل عن كل هذا الصخب ، لا تشعر ولا تدري شيئاً عن المعركة الحامية القائمة في تلك الرؤوس . فالتوفيق بين العلم والدين ضرب من العبث . على أن اجتهاد المجتهدين في هذا السبيل لم يتعد ذلك الجانب من الدين الخاضع بطبيعته لحكم العقل ، وهو الجانب الاجتماعي المبني على الأخلاق وما يتفرع عنه من فكرة الفضيلة والرذيلة ...

وهنا يتساءل الناس دائماً : ما الدين ؟ أهو شيء مفيد للبشر في أمر حياتهم ومعاشهم ؟ أم إنه طريق لحل اللغز الأكبر وسبيل للنفوذ إلى المجهول ؟ . في الواقع أن كل دين من الأديان المعروفة يتكون من هذين

الوجهين . فالدين كقانون اجتماعي ينظم الغرائز ويحفظ التوازن بين الخير والشر ، هو أمر متعلق بذات الانسان ، متصل إذن بعقله وعلمه . على أن عنصر « الأخلاق » في الأديان ليس كل جوهرها . فان بعض البلاد قد استطاعت أن تجد في « الأخلاق » غنى لها عن « الأديان » ؛ إنما قوة الدين وحقيقته في العقيدة والايان « بالذات الأزلية » . هنا لا سبيل إلى الدنو من تلك « الذات » إلا عن طريق يقصر عنه العلم الانساني ، بل يقصر عنه كل علم ، لأن العلم معناه الاحاطة ، والذات الأبدية لا يمكن أن يحيط بها محيط ، لأنها غير متناهية الوجود . فالاتصال بها عن طريق العلم المحدود مستحيل . ها هنا يبدو عمل الدين ضرورة للبشر . إني ما كتبت هذه الكلمة اليوم إلا لألفت نظر رجال الدين إلى وجوب التسامح والهدوء كلما قام باحث يتكلم في الدين عن طريق

العقل ، فان الشرق اليوم مقبل على حياة علمية واسعة  
 مهادها المعاهد والجامعات ؛ ولا بد لتمام ملكة العقل من  
 التفكير الحر الطليق ، كما لا بد لحياة ملكة القلب من  
 الشعور الحار العميق . فليترك رجال الدين المفكرين  
 يفكرون كما يشاؤون ، ويثرثرون كما يريدون ،  
 ويعرضون بضاعتهم الكلامية التي هي كل بهرجهم  
 الأدمى الأجوف ، فان كل هذا الضجيج العقلي لن يصل  
 خبره إلى القلب الذي لا يفتر لحظة عن التسبيح رغمًا  
 عنهم بالعميدة التي ركبت عليها حياته النابضة ...

## الدفاع عن الاسلام

قرأت لثلاث عشرة سنة خلت قصة قول تير التمثيلية  
« محمد » ، فحججت أن يكون كاتبها معدوداً من أصحاب  
الفكر الحر . فقد سب فيها النبي العربي سباً قبيحاً عجبت  
له . وما أدركت له علة ، لكن عجبني لم يطل ، فقد رأيت  
يهدىها إلى البابا بنوا الرابع عشر بهذه العبارات :

« فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس  
إعجاباً بالفضيلة ، إذ تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية  
ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية . وإلى من غير  
وكيل رب السلام والحقيقة ، أستطيع أن أتوجه بنقدي  
قسوة نبي كاذب وأغلاطه ؟ فلتأذن لي قداستك في أن  
أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه ؛ وأن أجرؤ على  
سؤالك الحماية والبركة . وإني مع الإجلال العميق أجتو

وأقبل قدميك القدسيتين» (فولتير ١٧ أغسطس ١٧٤٥).  
وعلمت في ذلك الحين أن روسو كان يتناول بالنقد  
أعمال فولتير التمثيلية، فاطلعت على ما قال في قصة «محمد»  
عني أجد ما يرد الحق إلى نصابه، فلم أر هذا المفكر  
الحر أيضاً يدفع عن محمد ما أُلصق به كذباً، وكأن الأمر  
لا يعنيه، وكأن ما قيل في هذا النبي لا غبار عليه ولا حرج  
فيه، ولم يتعرض للقصة إلا من حيث هي أدب وفن.  
ولقد قرأت بعد ذلك رد البابا بنوا على فولتير، فألفيته  
رداً رقيقاً كيساً لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين، وكله  
حديث في الأدب. فعظم عجبى لأمر فولتير، وسألت  
نفسى طويلاً: أيستطيع عقل مثقف كعقل هذا الكاتب  
العظيم أن يعتقد ما يقول. دين تبعه آلاف الملايين من  
البشر على مدى الأجيال، هو في نظره حقا دين كاذب؟  
ومبادئ إنسانية كالتى جاء بها الإسلام، هي عنده حقا



مبادئ بربرية؟ أم إنه التملق والزلفى والنفاق . وإن الزمن والتاريخ يضعان أحياناً أقنعة زائفة على نفوس تزعم أنها خلقت للدفاع عن حرية الفكر ...

منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأني جمعت في شيء عزيز لدى : الإيمان بنزاهة الفكر الحر . ولقد كنت أحياناً أتمس الأعدار لقولتير ، وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق ، بل عن عقيدة وحسن طوية استناداً إلى علم خاطئ بأخبار النبي ، ولكن كتابه إلى البابا كان يتهمة اتهاماً صارخاً ، ويدع مجالاً للشك في دخيلة أمره . إنى قرأت لقولتير كتباً أخرى كانت تكشف عن آراء حرة حقا في مسائل الأديان ، وتم عن روح واسعة الآفاق تكره التعصب الذميم ، فما باله عندما عرض لذكر محمد والإسلام كتب شيئاً هو التعصب بعينه ، تعصبٌ لدينه ، ذهب فيه إلى حد

السجود وتقييل الأقدام ، لا لرب العزة واخلق ، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ما أرى أن فولتير كان في ذات يوم من خدامها المخلصين . هي الأطماع التي كانت تدفع فولتير فيما أرى إلى التمسح بأعتاب الملوك والبابوات ، ولقد يقدم ثمنًا لذلك أفكاره الحرة أحيانًا . منذ ذلك الحين وفولتير عندي متهم ، ولن أبرئه أبدًا ، ولن أعده أبدًا من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر . وأحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم . على أن الذي يدعو إلى الدهش أكثر من كل هذا أن الشرق والإسلام وقفوا من الأمر موقف النائم الذي لا يعي ولا يشعر بما يحدث حوله ، فلم أركاتبًا من كتاب الإسلام قام في ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذي قال فولتير ، ويقذف في وجه هذا الكاتب بالحقائق الباهرة القاطعة ، أو أن مؤلفاً وضع

كتاباً يبرز فيه شخصية النبي العظيمة واضحة جليلة . لقد كان الشرق في ليل هادئٍ بهيم لم تثر فيه حركةٌ قولتير يومئذ ساكناً ، ولكن اليوم قد تغير الأمر ، ولاحت في أفق الشرق خيوط الفجر ، وقام في هذا القرن كتاب يعجدون عقيدتهم وهم يعلمون أن في ذلك تعجيداً للحق وللشرق ، فإن المسألة ليست مسألة دين فقط ، إنما هي أيضاً مسألة جنس وقومية ؛ وإذ تقول أوربا : « الإسلام » فإنما تعنى في غالب الأحيان « الشرق » ، والدفاع عن الإسلام لم يكن في كل الأحيان دفاعاً عن عقيدة وديانة إنما هو دفاع عن حياة تلك الكتلة التي يسميها الغربيون : « الشرق » . إن الحروب الصليبية في حقيقتها لم تكن إلا حرب الغرب على الشرق ؛ وإن الفتح الإسلامي عندما بلغ فرنسا وهدد أوربا لم يكن في الواقع إلا حرب الشرق على الغرب . هذا المد والجزر بين الغرب والشرق

يفهمه مفكرو الأوربيين تمام الفهم ، ويحسبون له الحساب ، ويعملون دائماً على أن تكون الغلبة لهم آخر الأمر ، أو أن يطيلوا على الأقل أمد غلبتهم إن كان لابد من تبدل الحال ومن دوران الفلك طبقاً لناموس أعلى لا قبل لهم به . فالدفاع عن شخصيتنا وعقيدتنا دفاع عن حياتنا ، وإن الكتابات التي تُوْجِه لهذا الغرض النبيل ينبغي أن يكون لها علينا حق المؤازرة والتعصيد ؛ وإني لست بناقد منقطع للنظر في أعمال المؤلفين وتقدير قيم ما يكتبون ، ولكنني أريد أن أشير إشارة سريعة إلى صوت من الشرق ارتفع في العصر الحديث محتجاً مدافعاً هو صوت الأستاذ الإمام محمد عبده ، في رده على «هانوتو» . فلقد نشر جابريل هانوتو الكاتب والوزير الفرنسي يوماً مقالة جاء فيها :

« قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية .

اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة  
 لا تجارى حاملين في حقائبهم بعض بقايا تمدين البيزنطيين  
 (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوروبا ، ولكنهم وجدوا  
 في نهاية انبعائهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا ، بل  
 أقرب في الصلة إلى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم ،  
 ألا وهي المدينة الآرية المسيحية ، ولذلك اضطروا إلى  
 الوقوف عند الحد الذي إليه وصلوا ، وأكروهوا على  
 الرجوع إلى أفريقية حيث ثبت فيها أقدامهم أحقاباً  
 متعاقبة » ثم قال في موضع آخر : « وقصر فريق منا  
 بحثه وحكمه على ما شاهده من المناقضات والخلافات بين  
 الدينين المسيحي والإسلامي ، فرأى في الإسلام العدو  
 الألد والخصم الأشد . قال المسيو كيمون في كتابه  
 « باتولوجيا الإسلام » : إن الديانة المحمدية جذام فشا بين  
 الناس وأخذ يفتك فيهم فتكا ذريعاً ، بل هي مرض

مريع وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الإنسان على  
الخنول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ،  
ويذمن على معاقرة الخور ، ويجمع فى القبائح . وما قبر  
محمد فى مكة إلا عمود كهربائى يبعث الجنون فى رؤوس  
المسلمين ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الهستيريا (الصرع)  
العامة والذهول العقلى ، وتكرار لفظة الله إلى مالا  
نهاية ، والتعود على عادات تنقلب إلى طباع أصلية  
ككراهية لحم الخنزير ، والنبيذ ، والموسيقى ، والجنون  
الروحانى ، والليمانيا ، والماليخوليا ، وترتيب ما يستنبط  
من أفكار القسوة والفجور فى اللذات « الخ الخ .

أمثال هذا الكاتب يعتقدون أن المسلمين وحوش  
ضارية ، وحيوانات مفترسة كالفهد والضبع ، كما يقول  
المسيو كيمون : « وأن الواجب إبادة خمسهم » كما يقول  
أيضاً « والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير

الكعبة ، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر « وهذا أيضاً قوله : « . . وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشرى . . أليس كذلك ؟ ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليوناً مسلماً<sup>(١)</sup> ، وأن من الجائز أن يهيب هؤلاء « المجانين » للدفاع عن أنفسهم والذود عن بيضة دينهم » الخ الخ .

ما كاد يظهر هذا الكلام في صحيفة المؤيد ، حتى قام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده لساعته مجرداً قلمه وكتب نحو أربع مقالات هي أقوى ما قرأت دفاعاً عن الإسلام ، وإظهاراً لحقيقة مبادئه الخافية على أغلب الأوربيين . وقد رد على هانوتو فيما أوردنا صائحاً :

« ما هذا التمدن الآري الذي كانت عليه أوروبا عندما انتقص أطرافها المسلمون ؟ ؟ هل كانت تلك

(١) عدد المسلمين الحقيقي في العالم اليوم يبلغ نحو ٤٠٠ مليون .

المدنية هي التسافك في الدماء ، وإشهار الحرب بين الدين والعلم ، وبين عبادة الله وبين الاعتراف بالعقل ، نعم هذا هو الذي كان معروفاً عند الغربيين وقت ما ظهر الإسلام !

« ماذا حمل الإسلام إلى أوروبا ، وما هي المدنية التي

زحف عليهم بها فردوها ؟ زحف عليهم بما استفاد من صنائع الفرس وسكان آسيا من الآريين ، زحف عليهم بعلوم أهل فارس والمصريين والرومانيين واليونانيين . نظف جميع ذلك ونقاه من الأدران والأوساخ التي تراكمت عليه بأيدي الرؤساء في الأمم الغربية لذلك التاريخ ، وذهب به أبلج ناصعاً بهر به أعين أولئك الغافلين المتسكعين الذين كانوا في ظلمات الجهالة لا يدرون أين يذهبون .

« إنى أكيل لمسيوهانوتو إجمالاً بإجمال ، والتفصيل لا يجمله قومه ، وكثير من منصفهم لم يستطع إلا الاعتراف به .



« إن أول شرارة ألهبت نفوس الغريبين فطارت بها إلى المدينة الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التي كان يسطع ضوءها من بلاد الأندلس على ماجاورها ، وعمل رجال الدين المسيحي على إطفائها مدة قرون فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . واليوم يرعى أهل أوربا ما نبت في أرضهم ، بعدما سقيت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدي أهل دينهم في سبيل مطاردة العلم والحريّة وطوابع المدينة الحاضرة » .

ثم رد الإمام في موضع آخر : « يجب على الباحث في الإسلام أن يطلبه في كتابه ، كما يجب عليه أن يطلب آثاره والإسلام إسلام ، والمسلمون مسلمون ، ولو استشم مسيو ( كيمون ) الذي استشهد هانوتو بكلامه ريح العلم لما استفرغ ذلك القدر من فيه ، فسخافة رأيه وقلة أدبه تكفيه .

« من أين أتى المسلمون وكيف دخل عليهم في عقائدهم بالتشبيه ، وفي عوائدهم بالتمويه ؟ وممن تعلموا الافتراس ، وعمن أخذوا الضراء بالشهوات ؟ أنا أعلم ذلك وأهل العلم يعلمون ، والله من ورائهم محيط .

« اتبع المسلمون سنن من قبلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى سقطوا في مساقطهم ، وطارحوا الأوهام حتى انجروا إلى مطارحهم ، وباءوا بما كان لهم وما عليهم . » حدثت في الدين بدع أكلت الفضائل وحصدت العقائد ، وترامت بالناس إلى حيث يصب عليهم ما استفرغه ( كيمون ) .

« أما لو رجع المسلمون إلى كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم لسلمت نفوسهم من العيب ، وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم الله إليه في تنزيله على لسان نبيه ، ومهده لهم سلفهم وخطه لهم أهل الصلاح منهم ،

واستجمعت لهم القوة ودبت فيهم روح الفتوة، وكان ما يلقاه هانوتو وكيمون من دين صحيح شرا عليهما مما يخشونه من دين شوته البدع .

« يرى كيمون أن يخلى وجه الأرض من الإسلام والمسلمين، ويستحسن رأيه هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك من كثرة عدد المسلمين؛ وبئسما اختار السياسة بلدهما أن يظهر اضعفهما، ويعلننا خطئ رأيهما وضعف حللهما .  
 « أما فليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حللهما أن الإسلام إن طالت به غيبة، فله أوبة، وإن صدعته النوائب فله نوبة، وقد يقول فيه المنصفون من الإنكليز مثل (اسحق طيلر) وهو قس شهير ورئيس في كنيسة: « إنه يمتد في أفريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار، فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره » .

نعم ، لقد آن للغرب أن يحترم عقائد الشرق . بل  
 قد آن للغرب أن يدرك أن محمداً والإسلام هما منبع من  
 منابع الفكر الحر وطفرة من طفرات البشرية المتحررة .  
 والدليل على ذلك شخصية النبي ذاتها وغرضه في الدعوة  
 إلى دين جوهره اقتناع النفس بالحقيقة العليا . فمحمد هو  
 أول نبي مجد البشرية بأن أعلن أنه بشر ، وأن دينه هو  
 دين الفطرة البشرية ، وقاوم أولئك السفهاء الذين كانوا  
 يطلبون إلى الأنبياء أن يثبتوا نبوتهم بالمعجزات فأثموا  
 في حق الفكر البشري قبل أن يآثموا في حق الدين .  
 فالمعجزة أى الإتيان بعمل خارق للمعتاد لا تدل  
 على شيء ولا تثبت نبوة ولا تدحضها . فإن من الكهان  
 أو بسطاء الناس من يملكون أحياناً تلك القوى الخارقة  
 في أجسامهم أو عقولهم أو أرواحهم دون أن يكونوا  
 من أجل ذلك أنبياء . إن النبي ليس في حاجة إلى معجزة

كأن يكون نبيا . إنما النبي من مُحمّل رسالة علوية لا ينصرف عن الحياة حتى يؤديها ، ومن فضل محمد أنه لم يشأ أن يقنع الناس بغير ذلك ، فقد بلغهم رسالته واعتمد في إثباتها على الملكات البشرية المجردة المتحررة .

فلقد جاء في كتب السيرة أن المسلمين عطشوا أثناء مسيرهم إلى غزوة تبوك فأمطرهم السماء فقال بعضهم إنها معجزة ، فصاح محمد من فوره : (إنما هي سحابة مارة) وأن الشمس كسفت يوم مات ابنه ابراهيم فقال الناس : (إن هذا الكسوف معجزة) فصاح محمد : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » . هذا كلام محمد الذي قال الغرب إنه نبي كاذب !!! فهل يمكن أن يكون هذا جواب نبي كاذب ؟؟

إن محمد آقد فهم حقيقة النبوة ، ووعى معنى الحقيقة العليا وأدرك أن أكبر معجزة في هذا الكون هي أنه لا يوجد

في الكون معجزات ، وأن كل شيء يسير طبقاً لنظام دقيق . وإذا قيل نظام قيل قانون ، وإذا قيل قانون قيل عقل مدبر ، وهذا العقل واحد أحد تبدو سمته في إدارة الأجسام غير المحدودة في العظم ، كما تبدو في إدارة الأجسام غير المحدودة في الصغر ، ذات اليد العلوية وعين أثرها في كل شيء ، يد واحدة لا تتغير وقانون واحد لا يتغير . إن محمداً قد تأمل الطبيعة كثيراً أيام عزاته الطويلة في غار حراء ، وفكر ملياً في نظامها العجيب فكشف عن بصيرته وبصره فامتلاً قلبه بالله الواحد ، كما اقتنع عقله بوجوده ، فجاء دينه ديناً كاملاً ، صادقاً في نظر القلب والعقل معاً . ولئن كان على الأرض نبي حرص على أن يجاهر بحجة العلم ومصادقته ، ولم يخش دينه العلم ، ولم يضطهد العلماء ، فهو « محمد » الذي قال : « فضل العلم خير من فضل العبادة » « اطلب

العلم ولو في الصين» وكثيراً من الأحاديث التي تنهى  
 على العلم وتحض عليه . ذلك أن مصدر اقتناع العلم  
 ومصدر اقتناع محمد واحد : الكون وملاحظة ما فيه  
 من إبداع يتم عن عقل مبدع هائل .

في كتاب حديث للعالم انشتين فصل ذكر فيه رأيه  
 في الدين ، فقال إنه يعتقد ما يسميه « الديانة الكونية »  
 تلك الديانة التي تملأ قلب كل عالم انقطع لتأمل « ذلك  
 التناسق العجيب بين قوانين الطبيعة وما يخفى من عقل  
 جبار لو اجتمعت كل أفكار البشر إلى جانبه لما كونت  
 غير شعاع ضئيل أقرب القول فيه إنه لا شيء » .

لا ريب عندي أن إحساس انشتين نحو الكون  
 والله هو عين إحساس محمد يوم كان يتحنث في غار حراء  
 قبل نزول الوحي . إنما الأنبياء والعلماء قلوب واعية  
 تشعر بجلال الله . ولا يمكن لنبي أن يكون نبياً إلا أن

يشعر من تلقاء نفسه بعظمة الخليقة ويتحرق شوقاً إلى معرفة سرها ، ولا يزال الشوق بقلبه حتى يكشف له الصانع الأعظم عن بعض نوره ، ويوحى إليه بنشر هذا النور على الإنسانية . إنى كلما تأملت شخصية محمد مجردة ثبت إيماني بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها في الحقيقة وجود ، وإن الدين الحق لا يتعارض والعلم الحق ... بل إن الدين والعلم شيء واحد ، كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه ، وكلاهما يعي ويؤمن ويلهج بتناسق الوجود ووحدته قوائمه ودلالته وحدته الوجود على وحدة الخالق . ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق شعر بغير ذلك . إنما الفارق بين العلم والدين هو في السبل التي يسلكها كل في الدنو من الله . ومن قال إن وسائل العلم ينبغي أن تماثل وسائل الفن أو وسائل الدين ؟؟؟

إن الطرائق والسبل يجب أن تظل مختلفة مميزة



لا يختلط بعضها ببعض ، إنما المصدر واحد دائماً والغاية واحدة . فما الدين والعلم والفن إلا خيوط ثلاثة كتب على بشريتنا القاصرة العمياء أن تمسك بها لتتهدى إلى ذلك النور الذي لا بداية له ولا نهاية : الله ...

## نجم أحمد!

وقف اليهودى على أحد آطام يثرب ناظرا إلى  
السماء يعلن إلى بنى قومه ميلاد النبي فى صيحة مدوية :  
« طلع الليلة نجم أحمد ! »

عجبا من العجب ! أحقاً لم يردك اليهودى نجم  
أحمد قبل تلك الليلة ؟ يخيل إلى أن الناس فى ذلك  
الزمان كانوا يسرون مطرقين كالعميان . إن نجم أحمد  
طالع فى كل لحظة يشع نوراً من بداية الكون لو أن  
للكون بداية ، إلى نهاية الزمن لو أن للزمن نهاية ! نجم  
أحمد هو الحق . والحق لا يبدأ ولا ينتهى . ولا يظهر  
ولا يختفى . إنه موجود .

إذن ما الإسلام ؟ وكيف ظهر الإسلام بظهور محمد  
والمسيحية بظهور المسيح ؛ واليهودية بظهور موسى ؟

هنا لزم التفريق بين الحق وثوب الحق . بين المعنى والأسلوب . ما الإسلام إلا أسلوب من أساليب الحق ، ورداء من أرديته . كذلك المسيحية وكذلك اليهودية . وكذلك كل دين من تلك الأديان السماوية التي تتحد في الجوهر وتختلف في المظهر : وهنا نستطيع أن نفاضل بين الأساليب ؛ وهنا فقط يجوز لنا أن نفاخر بالدين الأخير ، إذ جاء بأسلوب جامع مانع ، سهل ممتنع ، محكم الوضع ، مصقول التراكيب . فالمفاضلة لا تكون في الجوهر ، لأنه واحد أحد ؛ إنما المفاضلة في الأثواب . وهنا يخطر على البال سؤال : هل تجوز المفاضلة بين الأثواب وهي كلها من صنع الخالق المعصوم الذي لا ينبغي أن يخطيء ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر عنه . أو أن جوهر الحق وحده من شأن الله ، أما الأسلوب الذي يعرض به على الناس فهو من شأن الرسل

والأنبياء؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب النظر في قضية أخرى: هل للطبع والمزاج والخلق الذي ركب عليه النبي أو الرسول أثر في أسلوب رسالته؟ هل شخصية الرسول تطبع بخاتمها شكل الدين الذي يدعو إليه؟ وهل لظروف العيش التي نشأ عليها النبي دخل في اتخاذ «القالب» الذي أفرغ فيه «موضوع» النبوة؟ إن أجب على كل هذا بالإيجاب فإن التبعة في «أسلوب» الأديان تقع بلا مرء على كاهل الأنبياء. والنبي إذن مسئول عن الطريق الذي اتبعه للإبانة عن «الحق» مسئولية ملقاة على «شخصيته» التي صبغت الشريعة بصبغتها. وعلى قدر المسئولية تكون العظمة؛ وعلى قدر «الشخصية» ذات الوجود الفعلي تقاس العبقرية العظمى والمجد الأسمى.

إن صح هذا الكلام فيأتي أستطيع القول إن النبي

أو الرسول لا يصل إلى الحق متجرداً عن شخصيته . بل إنه لا يستطيع الدنو من الحق إلا عن طريق شخصيته . كذلك فعل النبي العربي ، وكذلك فعل المسيح وموسى . وكذلك كل نبي لا يستطيع أن يرى الحق إلا عن طريق إحساسه وطبعه وعقله . وهي ملكات تختلف باختلاف الأشخاص . وهنا يبدو سر تباين الأساليب التي جرت عليها الأديان في عرض جوهر الحق على الناس . ولعل محمداً هو أكثر الأنبياء حرصاً على تنبيه الناس في كل مناسبة إلى وجود شخصيته المستقلة ، فهو لا يفتري ذكراً أنه بشر خاضع للقوانين التي يخضع لها البشر ، وأنه لا يتصل بالله هذا الاتصال الخاص الذي قصر على الرسل إلا إذ يشاء الله ، وأنه في كثير من حياته الخاصة أو العامة حيث لا وحي يهديه السبيل ، يتصرف كما يتصرف البشر . هكذا فعل في معارك بدر وأحد والخندق إذ كان

يستمع إلى مشورة أصحاب الرأي من رجاله . وهكذا فعل  
إذ لم يخف ميله إلى الطيب والنساء . بل أنه أعلن ذلك  
الميل لعلمه أن الميول من مميزات الطبع التي ركبها الخالق  
في البشر . والنبي الحق أجل من أن يكتفم مزاجاً أو طبعاً ،  
وهو يعرف أن المزاج والطبع من مقومات الشخصية .  
وهنا تبدو حكمة الإسلام ظاهرة بين سائر الأديان  
فهو دين بسيط فطري لم تدخله صناعة . كل شئ فيه  
صادق خالص صاف . ليس فيه إنكار لقوانين الطبيعة ،  
بل فيه مساندة حكيمة ومصاحبة رشيدة لكل ما فرضه  
النظام العلوي على البشر من حيث تركيبهم المادى  
والمعنوى . ذلك أن أسلوب محمد في إدراك « الحق » كان  
أسلوباً مستقيماً . فهو قد أدرك أن « معنى » الحق إنما  
هو « السبب » الذي يصدر عنه الناموس الأكبر ،  
وأن روح الوجود هو « النظام » إذ لا يتصور أن تكون

«الفوضى» من عناصر الخليقة . بل إن «الفوضى» إذا حلت في نظام الوجود انقلبت نظاماً ، لأنه لا وجود بلا نظام ؛ بل إن كلمة «الفوضى» لا محل لها إلا في أدمغة البشر يعبرون بها عن كل ما يحدث شيئاً من الخلل في ترتيب حياتهم الضيقة المحدودة . أما الكون غير المتناهي فلا يعرف غير النظام ، هذا النظام الذي فرض على الإنسان والحيوان والجماد . هل من سبيل إلى مخالفته ؟ إن مخالفة النظام الطبيعي للإنسان والأشياء مخالفة لله ؛ وكل دين يقف في وجه النظم الطبيعية لا يمكن أن يكون من عند الله ، لأن الله لا يناقض نفسه . كل هذا فهمه محمد ووصاه ببصيرته النورانية النافذة ، فجاء أسلوب الإسلام في الإفصاح عن «الحق» واضحاً جلياً ؛ لا يأمر بالرهينة ، ولا بالفرار من الدنيا ، ولا بتعذيب الجسد من أجل الله . لأن الله لا يأمر بتحطيم ما بناه .

إنما يريد الله أن تعيش الأحياء طبقاً لقوانين الحياة التي وضعها لها ، وأن تجاهد في سبيل هذه الحياة ، وأن تتغلب على عناصر الفناء بما هيأه لها من مناعة طبيعية ، أو مناعة اكتسائية . والدين هو أداة المناعة الإكتسائية لمكافحة عناصر الفناء المادية والأدوية .

فلئن كانت غاية الدين عند البشر توفير أسباب الحياة الصحيحة ، والدنيا الصحيحة خير تمهيد لآخرة صحيحة ، فإن الإسلام بلا مرء هو دين الصحة في كل شيء . فهو ذو صوت جهير في الدعوة إلى صحة الجسم وصحة العقل وصحة العقيدة . ولئن كان ماضي هذا الدين السليم مجيداً ، فإن مستقبله ولا ريب يبشر بازدهار يعم الأرض لو استطعنا أن نجرده من سفسطة الجامدين ، وننقيه من ثرثرة المتنطعين ، وننقذه من احتكار الجهال المحترفين ، وأن نرده إلى مبادئه البسيطة الصافية



التي لا تصدم تقدما ولا تعارض التطور الطبيعي للأذهان والأشياء . وقتئذ فقط نستطيع أن نغزو به كل النفوس وكل العقول : فإن الدين « المثالي » هو الدين البسيط . وهل أبسط من الإسلام شريعة وهي لا تعرف « رجال دين » ولا تقر وجود أناس يجعلون من هداية الناس حرفة يأكلون منها ويكهنون ، ومن « الدين » مهنة تدر الرزق وتعطي متاع « الدنيا » ؟ إن أولئك الذين يجعلون « الدين » سلماً « للدنيا » لا « الدنيا » سلماً « للدين » قد طردهم الإسلام بعيداً عن حظيره ، وجعل الدين سمحاً باسمه باسطاً ذراعيه لكل الناس لا احتراف فيه ولا احتكار . نعم ، إن حاجة البشر كافة قد أصبحت متجهة إلى هذا النير العلوي الصافي من المبادئ البسيطة المستقيمة التي لا خداع فيها ولا تمويه ولا تناقض ولا تشويه ولا إخلال ولا تدخل في قوانين

الطبيعة الأساسية التي وضعها المبدع الأعظم . إذا تم ذلك للإسلام في هذا العصر فلسوف يأتي يوم يقف فيه أهل الأرض أجمعون من كل جنس ولون على أطام بلادهم يصيحون في كل حول صيحة ذلك اليهودي :

« لقد طلع نجم أحمد ! » .

## سر العظمة

ينبغي لمن أراد أن يدرك سر عظمة « محمد » أن يتخيل رجلاً وحيداً فقيراً تمكنت من قلبه عقيدة فنظر حوله فإذا الناس كلهم في جانب ، وإذا هو بمفرده في جانب . هو وحده الذي يدين بدين جديد ، بينما الدنيا كلها : أهله وعشيرته ، وبلده وأمته ، والفرس والروم والهند والصين وكل شعوب الأرض لا يرون ما يرى ، ولا يشعرون له بوجود . هذا موقف النبي ، وهذا موقف العالم : رجل عاطل من كل قوة وسلاح ، إلا مضاء العزيمة وصلابة الإيمان ، أمام عالم تدعمه قوة العدد والعدة ، وتوازره حرارة عقيدة قديمة شب عليها وورثها عن أسلافه ، واتخذت لها في قرارة نفسه وأعماق تاريخه جذوراً ليس من السهل اقتلاعها على أول قادم . فالنبي

هو ذلك القادم الذي يريد أن يقتلع تلك الجذور ويضع مكانها غرساً جديداً. والعالم القديم هو ذلك السادن القوى لتلك الشجرة العتيدة، يدود عنها وتأبى كرامته أن يفرط في ورقة منها. إنها إذن «مبارزة» بين فرد أعزل، وبين عصر بأسره يزجر غضباً: عصر زاخر بأسلحته ورجاله، وعقائده وفقهائه وعلمائه ومشاهيره، وتقاليده وماضيه، ومجده وتاريخه... هذه المبارزة الهائلة العجيبة من يستطيع أن يقدم عليها غير نبي... على أن المعجزة بعد ذلك ليست في مجرد التحدى ورمي «القفاز» وارتفاع ذلك الصوت الضعيف على شاطئ ذلك البحر الطامى العجاج: «أن أترك أيها العالم دينك القديم واتبعني». ذلك الصوت الذي لاجواب عليه إلاسخرية طويلة وقهقهة عريضة... وليست المعجزة كذلك في مجرد شفاء الأصم وإبراء الأعمى، إنما المعجزة حقيقة هي

أن يخرج مثل هذا الرجل الوحيد الأعزل من هذه المعركة المخيفة ظافراً منتصراً؛ فإذا هذا العالم العتيد كله يجثو عند قدميه منكس الأسلحة، وقد انقلبت سخريته خشوعاً طويلاً، وقهقهته صلاة عميقة. كيف ربح هذا الرجل الموقعة؟ ما وسائله؟ هل كانت له خطط وأساليب وقوة من شخصه مكنته من النصر؟ أو أن الله هو الذي نصره دون أن يكون لشخصية النبي دخل في الانتصار؟ عقيدتي دائماً أن شخصية النبي لها أثر كبير. وهنا معنى الاصطفاء، فالله يختار من بين البشر عظيماً له كاهل يحتمل عبء الرسالة، ويوحى إليه بالعقيدة ثم يتركه يجاهد في سبيلها. فالنبي ليس آلة تحركها يد الله في كل خطوة؛ إنما هو رسول عهد إليه تبليغ دين والعمل على إذاعته بين الناس بالوسائل التي يراها الرسول كفيلة ببلوغ الغاية. فالله لا يريد نشر الأديان بين البشر

إلا بالوسائل البشرية . فهو لا يتدخل بقدرته العلوية  
 فيفرض الدين فرضاً على الناس كما تفرض عليهم الزواجر  
 والأمطار ؛ ولكنه يحب دائماً أن يخلى بين « الدين »  
 وبين « الناس » حتى يتغلغل الدين من تلقاء نفسه في  
 نفوسهم بجمال نوره وحده ؛ ولكن أعين الناس لا ترى  
 في كل الأحيان ؛ فهم يعيشون في أعماق ماضيهم كالأسماك  
 العمياء في أغوار المحيطات . هنا تبدأ متاعب النبي ؛ وهنا  
 تظهر المعجزة الحقيقية وهي إبراء الأعمى ، لا أعمى واحد  
 ولكن ملايين العميان . فهو الذي يفتح أبصارهم على  
 نور طالما جحدوا وجوده : نور الدين الجديد الذي أتى  
 به . وهنا ينبئ التساؤل : كيف استطاع النبي أن يرى  
 الناس ما يرى ، وأن يقنعهم بما جاء به ؟ الجواب بسيط :  
 حياة النبي وخلقه . إن الناس لا تقتنع بالكلام وحده .  
 إنما يؤثر فيهم الفعل والمثل . إن الناس يوم أيقنوا أن محمداً

لا يسعى إلى غنى ولا إلى مُلك ، وأنه يريد أن يبقى فقيراً  
يشبع يوماً ويجوع أياماً ، وأن كل تلك المخاطر التي  
يتعرض لها في كل خطوة ، وأن كل ذلك الهوان الذي  
يناله من سفهاء القوم وأكابرهم ... وأن كل ذلك الجهاد  
الذي ملأ به حياته بأكملها إنما هو في سبيل « العقيدة »  
التي يقول لهم عنها ؛ منذ ذلك اليوم الذي اجتمع فيه  
كبراء أمته وعرضوا عليه ثروتهم ووعدوه أن ينصبوه  
عليهم ملكاً على شرط أن يتركهم على دين آبائهم ، فرفض  
المال والمجد والسلطان ، وأبى إلا شيئاً واحداً صغيراً :  
« أن يؤمنوا معه بفكرته » ؛ عند ذلك أدرك أولئك  
القوم جميعاً أن الأمر جد لا هزل ؛ وأنهم أمام رجل  
لا ككل الرجال ؛ وأن الآدمي الذي لا يغريه في  
الحياة شيء ، ولا يعيش إلا من أجل فكرة ، لا بد  
أن يكون قد أبصر في الفكرة جمالا لم يبصروه هم .

«فكرة» لا تقوم بمتاع من أمتعة هذه الدنيا الرخيصة ،  
و «جمال» يضحى في سبيله خير ما في الحياة . أمام  
هذا الرجل أخذ الناس يفكرون ملياً وثبت لمن كان قد  
ارتاب في أمره أن مثله لا يمكن على الأقل أن يكون  
أفقا يعمل لمغرم إنعما هو رجل صادق مخلص ، لا مطمع  
له من تلك المطامع التي يسمي إليها الناس في هذه  
الدار . عند ذلك بدأ كثير من الناس يجلسون إليه  
ويصفون إلى كلامه . . فوسيلة النبي الأولى وخطوته  
التي نزل بها الميدان هي إقناع هذا الخضم الصاحب  
من الخلق أنه مجرد عن الغايات الدنيوية . وهنا  
كانت قوته ؟ فإن أمضى سلاح في يد رجل يريد أن  
يقارع البشر ، هو أن يواجه البشر بيد خالية من  
أغراض البشر !

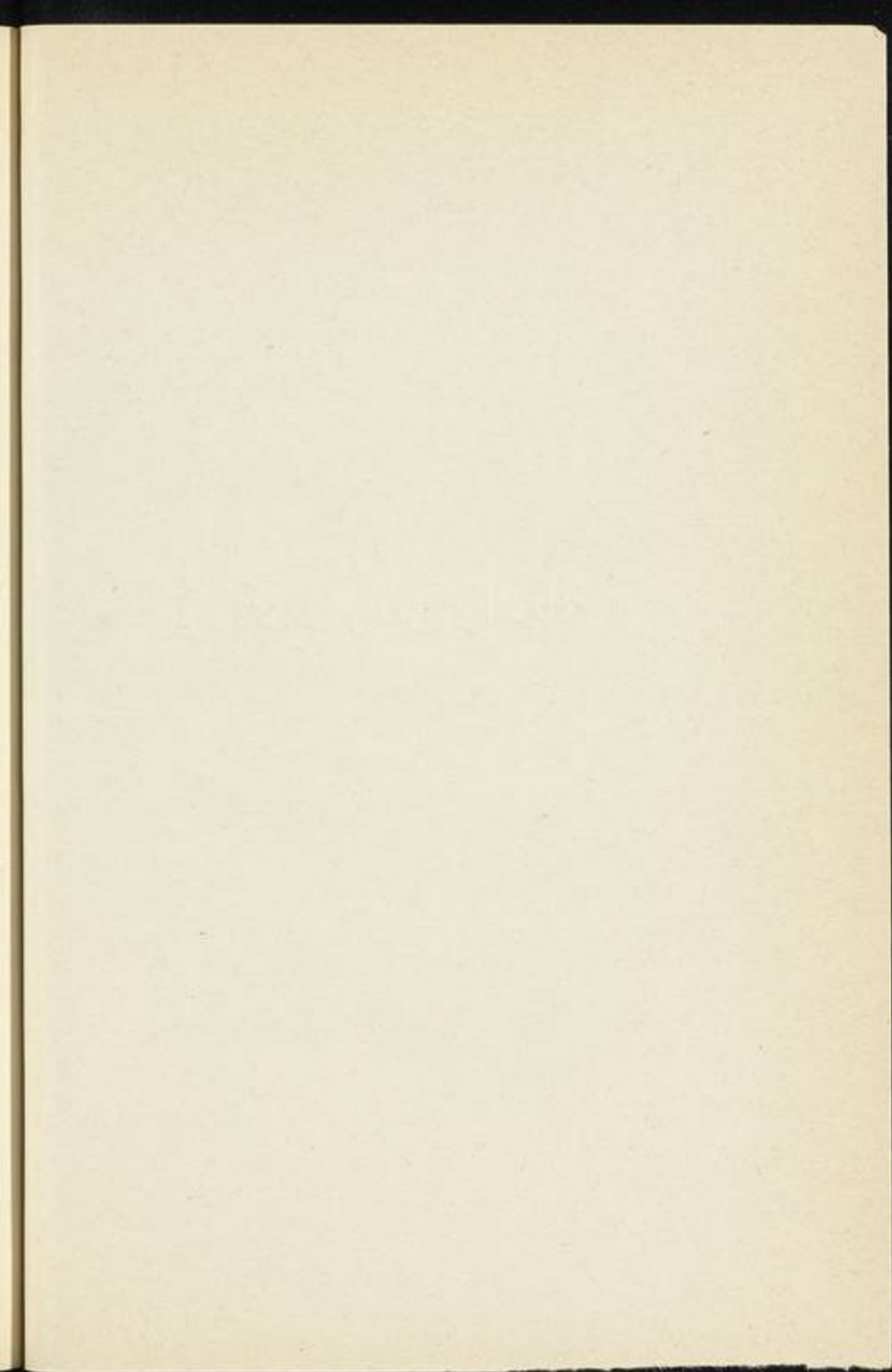
ولكن هذا لا يكفي . فالناس قد تقتنع بأمانة النبي



وقد تستمع إلى ما يقول ، ولكنها لا تستطيع أن تنبذ في يوم وليلة كل ماضيها لتؤمن بهذا الكلام الجديد . إن صدر الجماهير كصدر المحيط العميق ذي الماء الكثيف ، يدفع إلى سطحه كل جسم غريب ، ولا ينفذ إلى أعماقه إلا شيء ذو وزن ، بعد زمن وجهد . وإن الناس لشديدة الحرص على ما تسميه كنوز تراثها وتقاليدها . فما أدرهم أن هذا الكلام الجميل الذي جاء به هذا النبي ذو الحديث الطلي ليس إلا بضاعة زائفة ووهما خلا بلاعب بلب هذا الرجل ؟ ولم لا يكون هذا الرجل الأمين المسكين فريسة مرض ومس ؟ ما هو الأجدر بهم عندئذ ؟ يطلبون له الطب حتى يبرأ ، أو يلقون بكنوزهم ويتبعون حلمه ومسه . لقد وضعت المسألة إذن وضعا آخر ، واتخذت الحرب ميدانا جديداً . ماذا يصنع النبي ؟ لا بد له من أن يبدد ضباب الشك المخيم على الأذهان حتى يصل إليها

نور الدين . هنا صفتان لازمتان : الصبر والمثابرة ، فإن العاقبة في الحرب لمن صبر وثابر . وإن أمامه لخصما جديدا ، هو الشك الذي يقوم الآن في رؤوس الناس . فإن كان حقيقة رجلا عظيما فليقتل هذا الشك بمفرده . وما هو بشك رجل واحد ، إنما هو شك أمة طامية . ولقد جاهد الرسول فعلا في كل لحظة من لحظات حياته ، إلى أن استطاع ذات يوم أن ينقل العقيدة التي في قلبه حارة قوية إلى قلوب الناس جميعا . وهنا كان النصر الأخير ، وتمت المعجزة . وتمكن هذا الرجل الواحد من أن يضع العالم في قبضته ، ويخضعه لفكرته ، ويطبعه إلى أبد الآبدين بخاتمته ، ويدخل إلى صدره أشعة نور جديد .

في الأدب والفن والثقافة



## الخلق

... لا ريب أن العقلية المصرية قد تغيرت اليوم بعض التغيير ، كيف تغيرت ؟ هذا هو موضوع الكلام ، إن شئون الفكر في مصر حتى قبيل ظهور الجيل الموجود كانت قاصرة على المحاكاة والتقليد ، محاكاة التفكير العربي وتقليده ، كنا في شبه إنحاء ، لا شعور لنا بالذات . لا نرى أنفسنا ولكن نرى العرب الغابرين ، لا نحس بوجودنا ، ولكن نحس بوجودهم هم ، لم تكن كلمة « أنا » معروفة للعقل المصرى . لم تكن فكرة الشخصية المصرية قد ولدت بعد . حتى جاء الجيل الجديد فإذا هو أمام روح جديد وأمام عمل جديد ، لم يعد الأدب مجرد تقليد أو مجرد استمرار للأدب العربى القديم فى روحه وشكله وإنما هو إبداع وخلق لم يعرفهما السلف ، وبدأت الذاتية

المصرية واضحة لا في روح الكتابة وحدها بل في  
 الأسلوب واللغة أيضاً . لقد بدأنا نعي ونحس وجودنا  
 وأول مظاهر الوعي شخصية الأسلوب واستقلال طريقة  
 التعبير وما يتبعها من ألفاظ وأخيلة ، كل هذا أصبح  
 اليوم جلياً معروفاً ، ولم أكتب هذه الصفحات من  
 أجله ، فحاجة مصر إلى الاستقلال الفكري أمر لا نزاع  
 اليوم فيه ، ولقد مضى الكلام في هذا ، إنما الأمر الذي  
 يحتاج إلى كلام هو معرفة مميزات الفكر المصرى .  
 معرفة أنفسنا : حتى تتبين لجيلنا مهمته . لقد فهمنا مميزات  
 الأسلوب والشكل ، وما فهمنا بعد جيداً مميزات النفس  
 والروح ، ماهى مميزات العقلية المصرية في الماضى والحاضر  
 والمستقبل ؟ ما روح مصر ؟ ما مصر ؟ إن اختلاطنا  
 بالروح العربية هذا الاختلاط كاد ينسينا أن لنا  
 روحاً خاصة تنبض نبضات ضعيفة تحت ثقل تلك الروح

٧ نسمة

الأخرى الغالبة ، وأن أول واجب علينا هو استخراج أحد العنصرين من الآخر ، حتى إذا ما تم تمييز الروحين إحداهما من الأخرى كان لنا أن نأخذ أحسن ما عندهما ، وكان لنا أن نقول للناس : « هانحن أولاء قد أنزلنا لكم الطريق إلى أنفسكم فسيروا » . لا بد لنا إذن أن نعرف ما المصري وما العربي ؟ هذا السؤال ألقته على نفسي منذ سنوات عديدة إذ كنت أطيل النظر في الفنين المصري والأغريقي ؟ وأذكر أني أثرت هذه المسألة أمام بعض الباحثين ، وأذكر أني تلخصت الفرق بين العقليتين بمثل واحد في فن النحت سائلا : ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد وعند الأغريق عارية الأجساد ؟ هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله ، نعم كل شيء مستتر خفي عند المصريين ، عار جلي عند الأغريق ، كل شيء في مصر خفي كالروح

وكل شيء عند الأفریق عار كالمادة . كل شيء عند المصريين مستتر كالنفس ، وكل شيء عند الأفریق جلی كالمنطق ، فی مصر الروح والنفس ، وفی اليونان المادة والعقل . نظرة أخرى فی أسلوب النحت تدعم هذا الكلام . إن المثال المصری لا یعنیه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حیث هی شکل ظاهر ، إنما تعنیه الفكرة ، إنه یستنطق الحجر كلاماً وأفكاراً وعقائد . علی أنه یشعر مع ذلك بالتناسق الداخلي ، یشعر بالقوانین المستترة التي تسيطر علی الأشکال ، یشعر بالهندسة غیر المنظورة التي تربط كل شيء بكل شيء ، یشعر بالکل فی الجزء ، وبالجزء فی الكل ، وتلك أولى علامات الوعي فی الخلق والبناء ؛ هذا كله یحسه الفنان المصری لأن له بصیرة غریزية أو مدربة تنفذ إلى ما وراء الأشکال الظاهرة لتجیط بقوانینها المستترة ، فنان عجیب لا یصرفه الجمال



الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن . إنه يريد أن يصور روح الأشكال لأجسامها ، وما روح الشكل إلا القانون العام الأعلى المستتر خلفه ؛ إن ولع المصريين بالقوانين الخفية لشيء يبلغ حد المرض ، مرض إلهي ، لو أن الآلهة تمرض لكان هذا مرضها : فرط البحث عن القانون !

كل شيء في مصر إلهي ، لأن مصر التي منحتها الطبيعة الخير واليسر وسهولة العيش وكفتها مشقة الجهاد في سبيل المادة استلقت منذ الأزل تتأمل ما وراء المادة ...

حظها في هذا حظ الهند : أمة كثيرة الخير كذلك دائية القطوف لاجابة بها إلى الكفاح ولاعمل لها إلا استمرار ترف الحكمة العليا ، انقطعت هي أيضاً من قديم تحت أشجارها المقدسة تبحت عما وراء الحياة .

مصر والهند حضارتان قامتتا على الروح لأنهما قد شبعتا من المادة ، الأغر يق على النقيض ، أمة لم تشبع من

المادة ، أمة نشأت في العسر والفاقة . أرضها لا تدر من  
الخير إلا قليلا ، كان لزاما عليها الكفاح في سبيل العيش  
وكان حتما عليها الجرى وراء المادة ، حرب تلو حرب ،  
وقتح بعد فتح ، وضرب في مشارق الأرض ومغاربها ،  
على هذا النحو لم يكن للأغريق ذلك الضمير المطمئن  
ولا ذلك الشعور بالاستقرار ، ولا ذلك الإيمان بالأرض  
الذي يوحى بالتفكير فيما وراء الأرض والحياة ، إن عاطفة  
الاستقرار والإيمان عند المصريين ممزوجة بالدم ، لأن  
المصريين نزلوا من بطن الأزل إلى أرض مصر ، لا يعرف  
لهم نسب آخر على وجه التحقيق ، واختلاف العلماء في  
أمر أصلهم لم ينته بعد ، وفي كل يوم يبدو دليل على أن  
العمران والاستقرار وجدا في مصر قبل التاريخ المعروف  
ولقد ظهرت الحضارة المصرية في التاريخ تامة كاملة دفعة  
واحدة ، كما يظهر قرص الشمس في الأفق عند الشروق .

ولقد قال سولون : إن الكهنة المصريين يعنون العناية كلها بذكريات تلك القارة العظيمة ذات المدينة الزاهرة التي ابتلعها المحيط قبل مبدأ التاريخ : « قارة الأتلانتيدي » أتري كانت الحضارة المصرية استمراراً لتلك المدينة المنذرة ؟ . . . لم يقد دليل . على كل فرض ، مصر أمة مستقرة مؤمنة ، زهدا عمرها الطويل وخيرها الكثير في مبادئ الحياة ، وهذا الزهد والتفكير فيما وراء الحياة ظهر أثرها على وجه الفن المصري ، ولا شيء يدل على عواطف أمة وعلى عقليتها مثل فنها . فلقد طالع العالم الحديث على وجه الفن المصري الصرامة والجدو العمق ، ولا أكاد أفتح كتابا في الفن المصري حتى أجد كلمة « الصرامة » نعنا من نعوت هذا الفن ، ولا أفتح كتابا في الفن الأغرريقي إلا وجدت كلمة « الحياة » وكلمة « الإنسانية » من نعوت هذا الفن ، نعم . الحياة هي كل

شئ عند الأغرريق ، قد يدفعهم حب البحث إلى لمس حدود الحياة الأخرى فيلمسونها بالعقل والمنطق لا بالقلب والروح . فلسفتهم فلسفة العقل والمنطق والحياة ، فلسفة الحركة ، لا فلسفة السكون . عند مصر والهند السكون وعند الأغرريق الحركة ، قرأت حديثاً « المقبرة البحرية » ا « بول فاليري » وهو المتصل اتصالاً مباشراً بالفلسفة اليونانية . فإذا هو يشير في قصيده إلى الحركة والسكون وإذا الحركة عنده من خصائص الكينونة الواعية الفانية والسكون من خصائص العدم الخالد غير الواعي ، وهو يعارض زينون الألياتي في انكاره للحركة ، ويتغنى في آخر القصيده بانتصار الحركة أي الحياة على قصرها وفنائها ، فهو في ذلك لم يخرج عن يونانيتها المكتسبة . ولم يفهم في رأي روح مصر والهند ، ولم يشرف على ذلك العالم الخالد غير الواعي ، فإن دون هذا الإشراف

والاتصال التجرد التام من كل عقل آدمي أو منطق بشري ، هذه هي الصعوبة في فهم مصر والهند ، وهذا ما جعل الفن المصري سرّاً مغلقاً حتى أوائل هذا القرن ، وما صرف الناس إلى دراسة اليونان وحدها ؛ فهي واضحة المعنى يسيرة المنال . لأنها لزمّت شاطئ الحياة .

حظ الأغريق في كل هذا حظ العرب . العرب أيضاً أمة نشأت في فقر لم تعرفه أمة غيرها ؛ صحراء فقراء قليل من الماء يثير الحرب والدماء ، جهاد وكفاح لا ينقطعان في سبيل العيش والحياة ، أمة لاقت الحرمان وجهاً لوجه ، وما عرفت طيب الثمار وجرى الأنهار ورغد العيش ومعنى اللذة إلا في السير والأخبار ؛ كان حتماً عليها ألا تحس المثل الأعلى في غير الحياة الهنيئة ، والجنات الخضراء ، والماء الجاري ، وألوان النعيم واللذائذ التي لا تنضب ولا تنتهي ، أمة بأسرها حملت بلذة الحياة

ولذة الشبع ، فأعطاها ربها اللذة ومنحها الشبع ؛ كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة ، لذة سريعة منهومة مختطفة اختطافا ، لأن كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف . عند الأغريق الحركة ، أي الحياة ، وعند العرب السرعة ، أي اللذة . لم تفتح أمة العالم بأسرع مما فعلت العرب ، ومر العرب بحضارات مختلفة فاخطفوا من أطايبها اختطافا ركضاً على ظهور الجياد ، كل شيء قد يحسونه إلا عاطفة الاستقرار . وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض ولا ماض ولا عمران ! دولة أنشأتها الظروف ولم تنشئها الأرض ، وحيث لا أرض فلا استقرار ، وحيث لا استقرار فلا تأمل ، وحيث لا تأمل فلا ميتولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا إحساس بالبناء ، لهذا السبب لم تعرف العرب البناء ، سواء في العمارة أو في الأدب أو في النقد ، الأسلوب العربي

في العمارة من أوهى أساليب العمارة التي عرفها تاريخ الفن  
 وإذا عاش لليوم فإنما يعيش بالزخرف ، فن الزخرف العربي  
 هو الذي أنقذ العمارة العربية ، إن العمارة العربية — إلا في  
 مصر — ما هي في رأيي سوى زخرف لا بناء ، فلا أعمدة  
 هائلة ولا جبهة عريضة ولا وقفة قوية ولا بساطة عظيمة  
 ولا روعة عميقة ، إنما هي وشى كثير وجمال كجمال الحلى  
 المرصع يبهز البصر ولا فكر خلفه . أما فن الزخرف العربي  
 فهو في الحق أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ .  
 والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف ،  
 كل شيء عند العرب زخرف . الأدب نثر وشعر  
 لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ،  
 إنما هو وشى مرصع جميل يلذ الحس ؛ فسيفساء اللفظ  
 والمعنى ؛ و « آرابسك » العبارات والأجمل . كل مقامة  
 للحريري كأنها باب لجامع المؤيد ، تقطيع هندسي بديع

وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الإنسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب . كذلك الغناء العربي « أرابسك » صوتي ؛ فلا مجموعة أصوات متسقة البناء كما في « الديتيرامب » أو « الأوركسترا » الأغريقية أو كما في « الكورس » الجنائزى المصرى . ولا حتى مجرد صوت ينطلق حراً بسيطاً مستقيماً . إنما هو صوت محمل بألوان المحسنات من تعاريج وانحناءات والتواءات وتقاسيم كأنها (ستالاكتيتات) غرناطية ، لا يكاد يسمعه (القاضى الفاضل) حتى يستخفه الطرب ويضع نعله فوق رأسه ؛ كان هذا فى العهد الأول للموسيقى إذ كانت عند جميع الشعوب بسيطة عارية تخرج من القلب تعبيراً عما فى القلب ، أو رمزاً لفكرة من الأفكار ، والموسيقى كالعمارة من الفنون الرمزية لا الفنون الشكلية ، ولكن العرب لا يحبون الرموز ، ولا طاقة لهم بالفن الرمزى ،



ولا يريدون إلا التعبير المباشر بغير رموز ، وإلا الصلة  
المباشرة بالحس ، فجعلوا من الموسيقى لذة للأذن لا أكثر  
ولأقل ، كما جعلوا العارة لذة للعين لا أكثر ولا أقل ،  
ولقد حاول الفارابي فيما أذكر التقريب بين الموسيقى  
العربية والموسيقى الأغريقية ، وكان لا بد له من الإخفاق  
لأسباب قد أذكرها بعد . كذلك التصوير العربي على  
جماله ودقته ليس إلا مجرد تزيين وزخرف للكتب  
والمخطوطات ولم يؤد لغير تلك الغاية «المنياتور» الفارسي .  
قد يكون للدين دخل في تأخر النحت والتصوير عند  
العرب ، غير أنني أعتقد في براءة الدين ، فإن العرب كانوا  
دائماً ضد الدين كلما وقف الدين دون رغبات طبائعهم ، لقد  
حرم الدين الشراب ، فأحلوا هم الشراب في قصور  
الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر في أدب أمة  
بأحسن مما وصفت في الأدب العربي ، لا شيء في

الأرض ولا في السماء يستطيع أن يحول بينهم وبين اللذة ، أما النحت أو التصوير الكبير فليس في طبيعتهم لأن تلك فنون تتطلب فيمن يزاوها إحساساً عميقاً بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل ، والوعي الداخلي للكل في الجزء وللجزء في الكل ، وليس هذا عند العرب ، فهم لا يرون إلا الجزء المنفصل وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد . لا حاجة لهم بالبناء الكامل المتسق في الأدب ، لأنهم لا يحتاجون إلا للذة الجزء واللحظة ، قليل من الكتب العربية في الأدب تقوم على موضوع واحد متصل ، إنما أكثر الكتب كشاً كيلاً في شتى الموضوعات تأخذ من كل شيء بطرف سريع : من حكمة وأخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طبية ولذة جسدية ، وحتى إذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل أدب قائم على البناء ، فلم ينقلوا ملحمة

واحدة ولا تراجيديا واحدة ولا قصة واحدة ، العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية في العمل الفني الكبير ، لأنها تتعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد أو حكمة واحدة أو لفظ واحد أو نغم أو زخرف لتمتلي طربا وإعجابا ، لهذا كله قصر العرب وظيفه الفن على ما نرى من الترف الدنيوى وإشباع لذات الحس ، حتى الحكمة ، وشعراء الحكمة كانوا يؤدون عين الوظيفة . إشباع لذة المنطق والمنطق جمال دنيوى ، ولا أستغرب غضب نيتشه على إروبيد لإسرافه في هذا المنطق على حساب الموسيقى ، من المستحيل إذن أن نرى في الحضارة العربية كلها أى ميل لشؤون الروح والفكر بالمعنى الذى تفهمه مصر والهند من كلمتى الروح والفكر ، إن العرب أمة عجيبة ، تحقق حلمها في هذه الحياة ، فتشبثت به تشبث المحروم ، وأبت إلا أن تروى ظمأها من الحياة ، وأن تعب من لذاتها

عاب قبل أن يزول الحلم وتعود إلى شقاء الصحراء ، وقد  
كان . إن موضع الحضارة العربية من « سائفونية »  
البشرية كموضع الـ «سكيترو» من سائفونية يتهوفن :  
نعم سريع مفرح لذيد !!

لا ريب عندي أن مصر والعرب طرفا تقيض :  
مصر هي الروح ، هي السكون ، هي الاستقرار ، هي  
البناء . والعرب هي المادة ، هي السرعة ، هي الطعن ،  
هي الزخرف !

مقابلة عجيبة : مصر والعرب هما وجهها الدرهم ، وعنصرا  
الوجود ! أي أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح ! إني  
أؤمن بما أقول ، وأتمنى للأدب المصري الحديث هذا  
المصير : زواج الروح بالمادة ، والسكون بالحركة ،  
والاستقرار بالقلق ، والبناء بالزخرف ! تلك ينايع فكر  
كامل ومدنية متزنة لم تعرف البشرية لها من نظير ، إن

أكثر المدنيات يميل إما إلى ناحية الروح ، وإما إلى ناحية المادة .

حضارة واحدة قيل إنها استطاعت في وقت ما هذا المزج بين الروح والمادة وهذا الاتزان بين عنصري الوجود ، تلك حضارة الأغرريق . نعم أعود فأرد إلى أمة الأغرريق اعتبارها ، وأعترف أنني عندما وضعتها في كفة المادة كنت متأثرا ببعض الشيء بكلام « تين » و « تين » عقل خلاب لكنه عقل . والعقل وحده بعيد عن فهم الجانب الروحي للمدنات . ما هداني الى الحق إلا القلب .. إلا طول تأملي في جبهة « البارتنون » . من دماغ ذلك الجواد الذي خلقته يد « فيدياس » فوق هذا المعبد خرجت أفكار توحى إلى بأن أولئك القوم كانوا أعمق مما نظن ، وكانوا يشعرون بشيء آخر غير مجرد المادة الظاهرة ، وما لبثت « ميلبومين » أن جاءني

بيينة أخرى ، وتأمّلت قليلا فرأيت القناع قد كشف  
 وذكّرت من فوري أن أصل الأغر يق جنسان مختلفان :  
 اليونيون القادمون من آسيا المعروفون عند الهنود باسم  
 « اليافاناس » أي عباد « يونا » ؛ والدوريون الحريون  
 البرابرة الهابطون من الشمال ؛ وإله اليونيين : هو  
 « ديونيزوس » وإله الدوريين هو « أبولون » . وها هنا  
 تفسير الأغر يق : في هذا الصراع بين ديونيزوس رمز  
 الروح والقوى الخفية الشائعة والنشوة... وبين أبولون  
 رمز الفردية والشخصية المفروزة والوعي ، صراع بين  
 الروح والمادة ، وبين القلب والعقل ، وبين النشوة  
 والوعي ، ديونيزوس إله إسبوى فيما يخيل الى ، جلب  
 من الهند بلامراء . فغدا في اليونان ينبوع الموسيقى .  
 لهذا السبب قدرت إخفاق الفارابي . فإن الموسيقى  
 العربية وليدة عقل واع ، لأن العرب أمة الفردية والوعي

والمنطق العقلي والظاهر المحسوس ، إن العرب من عباد  
 أبولون وهم لا يشعرون . ان العرب لا يمكن أن يفهموا  
 ديونيزوس ، تلك النشوة الدينية الجارفة التي تخرج  
 صاحبها من سيطرة العقل والوعي كي تصله مباشرة  
 بالطبيعة : إن أغاني عباد « باكوس » الجماسية في الغابات  
 ومن اميرال (ساتير) لشيء بعيد إدراكه على العقلية الفردية .  
 شعور الانسان في لحظة أنه انقلب مخلوقا له جسم جواد  
 ورأس رجل أو رأس رجل وأرجل ماعز . هذا الاتحاد  
 بين الحيوان والإنسان إحساس ليس له مثيل إلا عند  
 المصريين القدماء ، هذا التلاقى بين الأنواع وبين القوى  
 في مخلوق واحد هو عند الأولين بقية ذكرى تلك  
 المخلوقات الإلهية البائدة التي كانت تحكم الأرض قبل ظهور  
 الإنسان . . . مخلوقات لا هي من الإناث ، ولا هي من  
 الذكور ، لا هي من الحيوان ولا هي من الإنسان

لأن الأجناس والفصائل لم تكن قد فرزت . كذلك (الساتير) في المتيولوجيا الأغريقية رمز للإنسان الأول ذلك الإنسان الدانى من الحيوان القريب من الآلهة ، يدنو من الحيوان بفرزته الجنسية المتبقطة ينبوع القوة الخالقة عند الأغريق والهنود كما هي عند المصريين ، ويقرب من الآلهة بفرزته الروحية المتصلة بقوى الطبيعة الإلهية ، فهو ما زال يحتفظ بقبس من الحكمة العليا بدون أن يشعر ، وبيريق من ذلك النور الروحي والإلهام الذاتى يرى به كتلة الزمن من ماض وحاضر ومستقبل فى شبه لحظة واحدة .

تلك القدرة الخفية هي حاسة بائدة كانت للإنسان الأول ، وفقدناها اليوم ، نعم فقدنا كل القوى الروحية التى منحتنا إياها الطبيعة يوم كنا نجبها وتتصل بها ، ولم يبق لنا اليوم إلا العقل المحدود والمنطق القاصر .

conceived  
with spirit



وها نحن اليوم في هذا الكون الهائل مخلوقات منفردة  
منبوذة! أين ذهب ديونيزوس؟ وهل يبعث من جديد؟  
وإذا بعث فهل يجد من يعرفه في هذا العصر ذى الحضارة  
المادية الفردية؟!!

رجل واحد ما زال يذكر هذا الإله ويستطيع أن  
يعرفه إذا ظهر كما عرف غاليلاس أصحاب الكهف!!  
وهو وحده كذلك الذى يستطيع أن يستقبله باسم هذا  
العصر، هذا الغاليلاس العصرى هو: «تاجور»! إنه يتكلم  
كثيراً عن ذلك الإتحاد بين الإنسان والطبيعة. وعن  
ذلك الفاصل المرفوع بين الحياة الخاصة وبين الحياة  
العظمى التى تخترق الكون. وعن ذلك الحب بين  
الإنسان والجماد. هذا كلام جميل. لكن هل تراه يشعر  
بحقيقته؟ يخيل إلى أن تلك الحقائق قد انطوت بانقضاء  
دولة الأغريق. بل لقد انقضت قبل أن تنقضى

دولة الأغرريق . انقضت بطغيان منطق سقراط على  
روح هو ميروس . انقضت بطرد ديونيزوس من  
تراجيديات إروبيد (غضبة نيتشه المعروفة) ، انقضت  
بغلبة الإحساس العقلي على الإحساس الروحي ، انقضت  
بانتصار «أبولون» في النهاية على «ديونيزوس» . وهكذا  
اختل التوازن ، ورجحت كفة المادة ، وانطفأت  
الحضارة الأغريقية إلى الأبد . ولم تثر أوروبا منها غير  
كنوز العقل والمنطق ، وبقيت في الظلام كنوز  
ديونيزوس الخفية .

لم تنجح اليونان إذن النجاح المطلوب في تطعيم  
الروح بالمادة ، فهل تأمل مصر بلوغ هذه الغاية يوماً ؟  
دمهور في مايو عام ١٩٣٣ من رسالة إلى طه حسين .

## النقد

... نحن متفقان ، ولا خلاف بيننا في الغاية . وهو مطلبنا . هنالك تفاصيل أفترق فيها عنك ولن أعود إليها فأنا أفزع من النظر إلى الوراء ، خشية أن أتحوّل إلى تمثال من الملح ، أو حتى إلى تمثال من الذهب . نفسى تصدّف أحياناً عن الفكرة الجامدة مهما تكن خالدة ، ويحلولى أحياناً أن أثير الأفكار عابثاً من نافذة قطار . إن رسائلنا في حقيقتها لا تعنى أكثر من إثارة الغبار في أرض ناعمة مفروشة بالحصى . لسنا نصدر أحكاماً بهذه الكتب السريعة . إنما نحن نطرح مسائل ونلقى بفروض سوف يلتقطها ويجمعها الباحثون المنقطعون يوم تستيقظ الأجيال . اتفقنا إذن . أو ينبغي لنا أن نتفق على أى حال حتى ننصرف إلى شيء جديد . إن البحث عن الجديد

هو الخلق عندي بالمجهود . ولقد فتح لنا اليوم باب الجديد صديقنا « أحمد أمين » . قال لي ذات مساء أنه يود لو يضع كتاباً في أصول النقد . النقد؟ لفظ رن في أذني . وذكرت للفور أن رسالتي السابقة إليك كان موضوعها « الخلق » . وقلت في نفسي ما يمنع من إتمام الكلام في رسالة ثانية يكون موضوعها « النقد » وإذا الأمر ينكشف لي عن قضية كبيرة : أنعد النقد كخلق خاضعاً لسלטان التيارات الفكرية الثلاثة التي ذكرتها في ردك : التيار المصري القديم ، والتيار العربي ، والتيار الأوربي ؟ أم نعد النقد كالعلم لا يخضع لمثل هذه المؤثرات ؟ أما أنا فلن أجيب من فوري عن هذا السؤال . فأنا أكتب ولا أدري أين يحط بي القلم . دعني أولاً أنشيء على هذا النغم بعض « تقاسيم » دون أن أعني الآن بالغاية . إن الغاية أحياناً رخيصة بجانب الوسيلة ، على الأقل في نظر

الفن . لأن الغاية في الفن لا تبرر الوسيلة . الحياة كذلك تلك القطعة الفنية التي أبدعها الخالق ، أهي شيء غير وسيلة متينة التكوين ؟ أها معنى في غير ذلك الطريق المبين الذي أوله ضباب وآخره ضباب ؟ خط هندسي رسم على لوح الوجود ، كيف ابتداء ، كيف انتهى ؟ لا يعني ذلك علم الهندسة . إنه خط بين نقطتين وكفى . ليس لنا أن نسأل عن غاية الحياة . ولا عن غاية الفن ، ولا عن غاية العلم . إن الغاية لا تهم . إنما المعنى كله في الوسيلة . الحياة هي الطريق . العلم هو الطريقة . الفن هو الأسلوب . أما الغاية فلا غاية . وهل يرتجى من العلم أو من الفن أو من الحياة غاية مطلقة يوماً من الأيام ؟ محال . ما نحن إلا أسلوب الخالق . ما الكون إلا أسلوب . الأسلوب كل شيء عند كل خالق وفي كل خلق . إن الخالق أعظم من أن يجبس إرادته

الخالدة في حدود « غاية » لفظ يدل بذاته على معنى الانتهاء . في اعتقادي أن كلمة « غاية » هي من صنع العقل البشري الصغير . هذا العقل المحدود الذي يضع كل شيء دائماً داخل حدود ، ويأبى إلا أن يكون لكل شيء أول وآخر . إنما الخلود في الأسلوب . لأن الأسلوب لا أول له ولا آخر ، فهو شيء كائن دائماً ، لا علاقة له بالزمن . إن رجل الفن ، وهو المقلد الأصغر للمبدع الأكبر ، يدرك أن الفن لا يعيش بالغاية . لأن الغاية فانية كاسمها . وإنما يعيش الفن بالأسلوب . لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام ، وفنيت الغاية من بناء البارتيون . دفن الموتى أو عبادة الآلهة الغابرين غاية قد ماتت ، وبقي أسلوب الفن وحده خالداً في الأهرام والبارتيون . خدمة الإنسانية غاية العلم في نظر البسطاء ولو سئل عالم في ذلك لا يتسم : « مالي وللإنسانية ! إنما

أنا أبحث عن سر أسلوب الصانع الأعظم . إنما هي لذة البحث في ذاتها . إنما هي طريقة البحث وأسلوبه . ولولا ذلك السرور الذي يملأ نفسى إذ ينكشف لعيني الباحثة عن جمال أسلوب الله لما تجشمت في سبيل العلم ، ولما كان للعلم هذا المعنى الرفيع . « . المخترعات كذلك ليست غاية العلم . هي تطبيق للعلم . إنما العلم هو البحث الخالص المجرد عن كل غاية وعن كل استغلال . لقد كان الأغريق يبحثون ولا يطبقون . فيثاغورس مثل من أمثلة الأسلوب الخالد للعلم الخالص . الأسلوب إذن هو محور النقد كما هو عماد الخلق ، وكلمة الأسلوب رحبة عميقة كالبحر ، في جوفها كل كنوز المعرفة التي يصبو إليها البشر . ولعل كل ما أوتيه الإنسان من سليقة سامية منذ أول الأزمان ليس إلا انعكاس أسلوب الخالق في نفس الإنسان . هذا المنطق الذي نشأنا عليه ، ونرجع إليه في

كل حياتنا ، هذا الإحساس بالنتيجة والسبب ، هذا الشعور بالتناسق والتناسب ، هذا الإدراك للصلة التي تربط الشيء بالشيء ، من أين جاءنا هذا نحن البشر ؟ هناك مصدر آخر غير أسلوب الخالق ؟ فتحت البشرية عينها فألفتة حولها ، فهو موجود قبلها وقبل الخليقة كما يوجد الرسم والتصميم قبل البناء . إن أسلوب المبدع في صنع الخليقة هو وحده المنبع الأزلي لهذه الصفات كلها : المنطق ، ارتباط السبب بالنتيجة ، والشيء بالشيء ، والجزء بالكل ، والتناسق والتناسب . صفات هي بعينها صفات الأسلوب السليم لكل عمل فني عظيم . أسلوب الله هو المعلم الأول والأخير . وما أول صورة رسمها الإنسان على الأحجار وعظام الحيوان سوى إعلان شعوره الخفي بتلك الصفات . إن رجل الفن الأول هو أول إنسان عرف «المنطق» صفة فنية بعد أن كان المنطق



سليقة سامية تسبح في أنحاء نفسه ولا يعرف ما هي .  
إن المنطق الذي شيد الأهرام لهو صورة محكمة للمنطق  
الذي شيد الكون . ما المنطق ؟ ما معنى المنطق ؟ سره  
في تلك المرأة العظيمة الصافية التي تحيط بنا كالجدران :  
الوجود ، أجل مثال للمنطق في الأسلوب ينبغي لرجل  
الفن والأدب والعلم أن يطيل فيه النظر . كل شيء في  
هذا الوجود مصنوع على طريقة واحدة وعلى قاعدة  
واحدة . ما القاعدة التي بنى عليها الوجود ؟ هي  
القاعدة التي بنيت عليها الأهرام . هي قاعدة كل  
بناء : التماسك بين الأجزاء في كل واحد متسق .  
هذا التماسك ما علمته وكيف يكون ؟ قانون أستطيع  
أن أفرغه كما يفعل الرياضيون في صيغة بسيطة من  
لفظين : « الأخذ والعطاء » . كل شيء في هذا الوجود  
يحميا على نمط واحد ! . وكل حياة في هذا الوجود

لها مظهر واحد : أخذ وعطاء في حركات متصلة متشابهة<sup>(١)</sup> : زفير وشهيق عند الإنسان والأحياء ، اكتساب واشعاع عند النجوم والأشياء . الأخذ والعطاء قانون التماسك والاتصال في حياة الفرد والمجتمع والأمة والأمم . وفي حياة الأخلاق والسياسة والاقتصاد . وفي حياة المادة والروح . وفي حياة الأرض والأجرام والسدم . ليس في الوجود شيء لا يأخذ ولا يعطى . وليس في الوجود شيء يعطى ولا يأخذ . كل شيء يعتمد على كل شيء في هذا الكون . بنيان مرصوص يشد بعضه بعضا وكل خلق بنيان . ولا بنيان بغير وحدة شاملة ، ولا وحدة شاملة بغير تضامن بين الحجر والحجر ، وبين الجزء والجزء . يتساءل هنري بونكاريه في كتابه « قيمة العلم » : « أيقن لنا أن نتكلم في سبب ظاهرة من ظواهر الكون

(١) تعريف شخصي للحياة ، أدب الصيغة بالقياس إلى تعريف : « كاود برنارد » العلمى الصيغة .

ما دام كل جزء من أجزائه متصلًا بكل جزء برباط التضامن؟ إن أية ظاهرة من الظواهر لن تكون نتيجة سبب واحد، بل نتيجة أسباب غير متناهية في العدد. إن أية ظاهرة مهما كان شأنها ليست في الغالب إلا نتيجة لحالة الكون كله في لحظة سلفت « فالكون كله إذن إن هو إلا إناء واحد صنعته يد واحدة من عناصر متألفة وهذا التآلف أو التضامن إنما هو وليد ذلك القانون: «الأخذ والعطاء». ليس هذا كل المنطق في صنع الوجود، إنما المنطق في تركيب ذلك القانون. ما قوام الأخذ والعطاء؟ هل يكون أخذ وعطاء إلا بين كائنات متشابهات؟ ما الحال لو أن الخالق أبدع وجوداً آخر على أسلوب آخر، فصنع أناساً يعيشون بالزفير ولا يعرفون الشهيق. ومخلوقات تأكل ولا تصرف، وأجراماً تكتسب الحرارة والضوء ولا تشع؟ أي اتصال يمكن

أن يقوم بين كائنات خلقت على غير أسلوب واحد ؟  
لا اتصال ، وحيث لا اتصال لا بناء . لا خلق ولا بناء  
إذن في الكون أو في الفن بغير وحدة الأسلوب .  
كذلك في مادة الأجزاء . هل يقوم أخذ وعطاء بين  
أجسام لا تتحد في مواد البناء ؟ أي اتصال بيني وبين  
أخي وابني لو أن الخالق صنعني من عناصر غير عناصرها  
فجعلني من يابس ورطب وجعلهما من نور ونار وغاز  
وبخار ؛ أي ارتباط لو أنه جعل كل مخلوق منفرداً بمادته  
وهيئته وعناصره عن كل مخلوق . أي هرم يمكن أن  
يشيد بأحجار ، أحدها من صخر ، وآخر من عجين ،  
والثالث من ورق ، والرابع من طين ؟ لا ارتباط بغير  
تشابه وتماثل . ولا تضامن بين أجزاء غير متجانسة في  
التركيب إن كل ما نحس وجوده يتحد معنا في بعض  
العناصر . بغير هذا ما كنا نعترف له بوجوده إنا نعرف

الأجرام لأن أجسامنا تعرف الحرارة والضوء والحديد .  
التشابه إذن هو شرط الأخذ والعطاء . الاختلاف  
كذلك شرط آخر . وهل يقوم أخذ وعطاء إلا بين  
كائنات مختلفة ؟ ما الحال لو أن الخالق صنع كل شيء  
ككل شيء ، فجعل كل رجل ككل رجل . وكل  
جرم ككل جرم ؟ طبع واحد ، ومنظر واحد ، وحجم  
واحد . أليس هذا التشابه المطلق ينفي الشخصية ؟ وحيث  
لا شخصية فلا أخذ ولا عطاء ، ولا تماسك ولا اتصال ،  
وهل من صلة بيني وبين غيري إلا لاختلاف شخصه  
عن شخصي وما عنده عما عندي ؟ وهل رابطة الأجرام  
إلا اختلافها في الأحجام ؟ الجاذبية ، الحب ، هل عليهما  
إلا اختلاف النسب في القوى والأشكال ؟ إن مثل هذا  
الكون المتماثل لا يمكن كذلك أن يشيد أو يوجد . مثله  
مثل قصة تمثيلية أشخاصها لهم عين الإسم والجسم والطبع

والحظ يتكلمون عين الكلام ، ويتحركون عين الحركات  
ويتصرفون عين التصرفات ! أى علاقة يمكن أن تنشأ  
بين هذه المخلوقات ؟ وهل يشعر أحدهم بوجود الآخر ؟  
وهل يدرك أحد منهم معنى كلمة « أنا » ؟ لا بد من بعض  
الاختلاف بين الكائنات حتى يتميز كل كائن من الآخر  
ومتى تميزت الأشخاص والأشياء والأجزاء نشأ بينها  
الأخذ والمطاء ، سر التماسك فى كل بناء .. ها هنا إذن  
قوام التناسق : « التشابه لا كل التشابه ، والاختلاف  
لا كل الاختلاف ! » (بيتهوفن هو الذى كشف لى منذ  
سنوات عن سر التأليف بين صوتين فى عين الوقت .  
فقد لاحظت أنه يجمع بين صوتين متشابهين لا كل  
التشابه مختلفين لا كل الاختلاف . وأدرت أن  
لا تناسق بغير هذا . فلو أنه جعل الصوتين متشابهين  
كل التشابه لفنى أحدهما فى الآخر ، وما ميزنا شيئاً غير

صوت واحد . ولو أنه جعلهما مختلفين كل الاختلاف  
لاستحال على الأذن أن تصل بينهما وهما متباعدان  
متنافران . فأساس « التناسق » في الموسيقى والفن  
كأساس التناسق في الحياة والكون : إئتلاف بين  
الأجزاء لا كل الائتلاف ، واختلاف بينها لا كل  
الاختلاف .

جملة القول عندي أن أسلوب الله في صنع الكون  
هو وحده منبع الفن ، هو وحده مصدر ذلك الإدراك  
الإنساني للجمال منذ مبدأ الأجيال . أما نقاد القرن  
التاسع عشر فلا أحسبهم رفعوا أبصارهم إلى هذا  
الأسلوب مستلهمين . إنما هم قد خروا أمام تمثال العلم  
ساجدين ، أنظارهم خاشعة ترنو في رجاء إلى شعاعين من  
الكهرباء صادريين من عدسات عينيه الجامدتين . القرن  
التاسع عشر قرن تأليه العلم . فلقد بهر العلم العالم

بانتصارات حاسمات متواليات ، فإذا الأدب والفن  
والفلسفة كلها تهرع إليه تقرر له بالغبية والسلطان . وإذا  
كل شيء يطلب إلى العلم تفسيراً . وإذا العلم في نشوة  
الظافر وبسمة الواثق لا يأبى أن يقضى فيما يعنيه وفيما  
لا يعنيه . وإذا العلم وهو علم المادة يريد أن يتحدث في  
شئون الروح . وإذا سئل عن الروح قال دونكم هذا  
الطريق وأشار إلى عين الطرائق التي أدت إلى الفوز في  
شئون المادة : التحليل والتركيب والتجربة والقياس  
والاستنتاج والاستقراء الخ . بهت العالم لنظرية النشوء  
والارتقاء ، وآمن الناس أن أصلنا من ماء وخلايا حية  
وحيوان ظل يسمو في المرتبة على مدى الأزمان حتى بلغ  
القرود جد الإنسان ! نظرية جميلة ، خلب جماها اللب على  
الرغم من بشاعة ذلك الجد الغول . أما صدقها فجاز من  
حيث المادة والأجسام . ولكن .. وهنا القضية : أتصدق



هذه النظرية على الروح أيضا وشئون الروح؟ الإحساس بالجمال : أيخضع أيضا للنشوء والارتقاء؟ نعم ، نعم ، نعم . هكذا قالت المدرسة الإنجليزية (سبنسر ، جرانت ألن رسكن) . وكان لابد لهذه العقول التي فتنها نظرية التطور في المادة أن تبرر للناس نظرية التطور في الجمال . وعجب الناس لنظريات علم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم الحياة وأبحاث (لامارك) في تأثير البيئة والمناخ وظروف الحياة على طبيعة الأجسام ، فقامت المدرسة الفرنسية (هبوليت تين) تخرج للفكر والأدب نظرية للجمال والفن : الوحي فيها والإلهام : مقاييس الحرارة وموازين الأحجام !

بل إنني لأرى أصعب العلم قبل ذلك بقرن يقود المدرسة الألمانية إلى نظريتها في الجمال (عمانويل كانت) . ولم يكف العلم هذا التوجيه والتأثير بل تناول يديه

في هذا العهد الحديث جسم الجمال ، وأعمل فيه المشروط  
والمسبار (علم النفس الحديث) . قضى الأمر ، وخرج  
الجمال من حدائق الفلسفة إلى معامل العلم . . !

لست أزرى على طرائق العلم . فهي وسائل البشرية  
التي لا تملك غيرها . وأذكر يوم كنت أرصد وقتاً للتفكير  
في هذه المسائل أني بسطت أمام نفسي هذا السؤال  
الساذج : الحيوان ما علمه بالجمال ؟ حصان بين مهرتين  
إحداها جميلة مليئة شهباء والأخرى قبيحة هزيلة عرجاء  
إلى أيتهما يميل ؟ ما ترددت يومئذ أن أقول في ثقة واقتناع  
« إلى الجميلة يميل ، ما وجه الترجيح ؟ لست أدري ،  
وحبذا التجربة فهي الحكم الفصل ! » . لكنني يومئذ  
كنت أفكر تفكيراً صرفاً في أبراج عاجية اعتدت أن  
أوى إليها للتفكير الهادي ، فأين لي بالخيول والأفراس  
أجرى عليها التجارب ؟ فما أنذا أقر بأن التجربة وسيلة

بشرية طبيعية للوصول إلى المعرفة . وأقر بأنى شعرت يوماً بالحاجة إلى ممارستها في شئون الجمال . غير أنى على الرغم من هذا لا أحب أن أعتقد ببساطة أن نظريات العلم في شئون المادة تصدق دائماً في شئون الروح . لا شئ يستطيع أن يقنعنى بأن احساس الجمال وليد تطور ونشوء . بل رغبة أن أصبح بغير دليل في يدى إدراك الجمال ولد كاملاً في قلب الإنسان منذ رفع بصره وبصيرته إلى أسلوب الله فوعاه . إنى أخشى أن تقع فى الغلط إذ تطبق نظريات المادة فى مسائل الروح ، وهل تستطيع أن تجيز قول رسكن وجرانت أن فى الألياذة : « . . . ما كان يعنى الأقدمون بالطبيعة ولا بجمالها إلا حين يتصلان بعيش الإنسان . فى الألياذة ما كان يوصف منظر طبيعى لذاته ، بل لمنفعته للإنسان ، كأن يكون مكاناً خصيباً يفيض بالحنطة أو تكثر فيه الجياد . ما كانت

الطبيعة سوى إطار للحوادث والأشخاص ، لا إنها لذاتها محل للوصف . إن الطبيعة لم تحب لذاتها إلا في العصر الحديث ، حيث استيقظ الإحساس بها ، احساس صاف خالص لا تشوبه شائبة النفع أو المصلحة .. » ماذا أقول في هذا الكلام ؟ أهو جهل بمشاعر الأقدمين ؟ أم تورط في تطبيق نظرية التطور والنشوء ؟ أنصدق حقا أن الشعور الرفيع بجمال الطبيعة لم يعرفه القدماء خالصا لدنوم من الحيوانية ؟ أنصدق أن « هوميير » لم يحس جمال الطبيعة لذاتها ؟ أهذا رسكن يقول هذا الكلام ؟ أما أنا فقد مضى كلامي في الطبيعة والقدماء ، ورأى الذي أبديته في رسالتي الأولى أن الأقدمين كانوا أقرب منا إلى الطبيعة وإلى فهمها . لقد كان الأقدمون يحسون أنهم جزء من الطبيعة ونعم من أنعامها . أما رسكن وألن أو الإنسان الحديث فلا يحس إلا ذاته الآدمية منفصلة عن الطبيعة

وعن كل شيء . دليلي فن القدماء من مصريين وأفريقي .  
 أهذا فن قوم لا يحسون الطبيعة لذاتها ولا يدركون  
 قوانينها وأساليبها ؟ إلى هذا الحد يصل الانقياد إلى  
 النظريات ؟ من أجل هذا لا أريد التمكين للعلم حتى  
 يجلس على عرش النقد دون شريك . أحب طرائق العلم .  
 لكنني أخشى نتائج العلم . فلترتفع بالروح قليلا . لست  
 أريد أن أضع الروح تحت مبضع العلم ، رهبة مني أن  
 يشقها فيجدها غلافاً أجوف . وإني لا أنسى يوم شاهدت  
 تشريح جثة آدمي للمرة الأولى . أي قلق يومئذ مزق  
 إيماني بقيمة الإنسان ! كلا . إني كرجل من رجال الروح  
 لا أريد أن أنجع في خير ما أعيش به وله . يريح نفسي  
 دائماً أن أقول إن عقل العلم لا يكفي . ولا بد دون إدراك  
 الجمال والروح من العودة إلى القلب . أريد ألا يخرجني  
 العلم من ذلك الإيمان الذي كان يضيء في قلوب المصريين

القدماء . إيمان قريتهم من الخالق ، فإذا هم ببصائرهم العميقة العجيبة أول آدميين استطاعوا فهم أسلوب الله والنفوذ إلى قوانين إبداعه . إن أقصى العلم الإيمان . أحب ذلك العلم المؤمن الشاعر الذي عرفه أيضا الفلكيون العظام في القرنين السادس عشر والسابع عشر : كوبرنيك ، وجاليليه وكبلر ، آخر قطرة من ذلك العلم الممزوج بالإيمان ، كانوا ينظرون إلى الكواكب كما نظر إليها من قبل المصريون الأقدمون . لا بعين العقل وحده ، بل بعين القلب أيضا . كانت السماء والنجوم في نظرهم مخلوقات حية . كانوا أيضا يحسون في كتلة النجوم وفي هذا الكون بأمله الروح الخالقة ويد المبدع الأعظم . ما أروع هذه العبارة من كبلر ، فيها تلخيص جميل لكل ما عملاً نفسى : « . . كل الخليفة ليست إلا سمفونية عجيبة في مجال الروح والأفكار كما هي في مجال الأجسام والأحياء . كل شيء

متناسك مرتبط بعري متبادلة لا تنفصم . كل شيء يكون  
 كلا متناسقا . إن الله قد خلقنا على صورته ، وأعطانا  
 الإحساس بالتناسق . كل ما يوجد حي متحرك ، لأن  
 كل شيء متتابع متصل . كل كوكب وكل نجم إن هو  
 إلا حيوان ذو نفس . إن روح النجوم هي سر حركتها  
 وسبب ذلك الحب الذي يربط بعضها إلى بعض ، وتعليل  
 ذلك النظام الذي تسير عليه الظواهر الطبيعية . . . « أولئك  
 رجال ساروا في بيداء العقل دون أن ينسوا دليل القلب  
 أولئك هم العلماء العظام ! أرى أنك قد استشففت رأبي  
 بعد هذا التهميد . نعم ولا أخشى أن أجيب الآن عن  
 السؤال فأقول إن التيارات الثلاثة التي ذكرتها تصدق  
 أيضا في النقد كما تصدق في الخلق . أما التيار الأوربي في  
 النقد فهو المرتكز على العلم . ولقد وصل إلينا هذا التيار  
 بالفعل وتأثرنا به . وإن بعض كتب النقد التي ظهرت

أخيراً في مصر الحديثة تم عن هذا الاتجاه العلمى . وهو أمر لا بأس به ، بل هو واجب محتوم ، على شريطة أن نقرن به ونضيف إليه عناصر جديدة ووسائل أخرى مستخرجة من أرضنا وتراثنا إذا أردنا أن ننشئ لآدابنا طريقة شخصية كاملة فى النقد . فأما التيار المصرى القديم فهو النقد المعتمد على الذوق أى سليقة المنطق والتناسق وهو عند المصريين القدماء سليقة المنطق الداخلى للأشياء والتناسق الباطن أى القانون الذى يربط الشئ بالشئ ؛ أى جمال للأهرام غير ذلك التناسق الهندسى الخفى وتلك القوانين المستترة التى قامت عليها تلك الكتلة من الأحجار ، جمال عقلى داخلى ، كذلك أسلوب الخالق لا يعنى دائماً بالجمال الظاهر وحده فى خلق الطبيعة . فأى جمال لجبل المقطم ؟ إن الجمال الظاهر نسبي لا يقدره غير الإنسان إنما المنطق الداخلى للأشياء هو كل جمالها



الحقيقي ، هذا الإدراك للجمال الخفي فظن إليه المصريون القدماء يوم صنعوا « الأهرام » ، فهم لم يرموا إلى جمال الظاهر الذي يسر العين . إنما أرادوا أن يصنعوا بأيديهم البشرية ظاهرة من ظواهر الطبيعة ، في روعتها وضخامتها وقوة تأثيرها . وقد تمت المعجزة . وإذا الأجيال على مدى آلاف السنين تعبر الأهرام عبورها جبل المقطم سواء بسواء . وكأنما اختلط الأمر في ضمير الزمن وضمير البشرية فارتفع هذا « الخلق » الأدنى إلى مقام الظواهر الطبيعية ! أولئك قوم أرادوا أن يقلدوا أسلوب الله في عظمته ودقة قوانينه . فأعانهم الله على ما التمسوا ، وكشف لهم عن أسرارهِ وطرائقه ! هذا المقياس المصري القديم للجمال ما أحسبه قد أثر بعد في حياتنا الفكرية أو في أحكامنا الفنية . أما التيار العربي القديم فهو النقد الذي قوامه ذوق الحس . أي سليقة المنطق

الظاهر والتناسق الخارجى . الجمال عند العرب هو الجمال  
الظاهر الذى يسر العين ويلذ الأذن . أنستطيع أن نتخيل  
العرب تبني الأهرام أو تقدر فيها جمالا ؟ لقد جاء العرب  
مصر وتحدثوا بجمال نيلها وأرضها وسماؤها ولم يروا فى  
الأهرام إلا شيئا قد يحوى نقوداً مخبوءة ، أما بناؤه  
فشئ لا يحسب فى الفن . إنما الحسن عند العرب حسن  
الهيئة قبل كل شئ . المساجد كالعرائس تكاد تخطر  
حسنا بزخارفها ، زينة للناظرين . بغير هذا فلا عمارة  
ولا فن . الشعر رنين لذيذ ، وخيال جميل ، ومعان لطيفة  
وألفاظ مختارة ظريفة ، بغير هذا فلا شعر ولا فن .  
الجمال عند العرب جمال إنسانى . والفن عندهم شئ صنعته  
الإنسان لنفسه ولذته . الفن العربى القديم فن إنسانى  
دنيوى . والفن المصرى القديم فن إلهى دنى . لهذا  
اختلفت المقاييس فى الجمال بين الفنين . أحدهما يعنى

بالتناسق الشكلى الذى يروق للإنسان ، والثانى يعنى  
بالتناسق الخفى بغير التفات إلى الإنسان . ولعل المقياس  
العربى القديم هو فى مصر المنفرد حتى اليوم بالحكم فى  
قضايا الشعر والأدب .

هذا المقياس العربى ذو الأبرة الدقيقة عجيب فى  
تسجيل كل انحراف عن منطق الألفاظ . إنما هنالك فى  
اعتقادى منطق آخر مستتر ، أمره يعنى المقياس المصرى .  
إنى يوم قلت بمزج الروح بالمادة فى آدابنا كان  
يجب على أيضاً أن أقول بوضع المقياس المصرى فى النقد  
بجانب المقياس العربى . . .

كوم حمادة فى سبتمبر عام ١٩٣٣ من رسالة إلى طه حسين .

## بين الخالق والناقد

—

... حقيقة أذكر أنك كنت عازماً على نقد كتابي « محمد » ، فما الذي منعه ؟ وأذكر أيضاً أنك أفضيت إلى بخوفك من أن يسىء بعض رجال الدين فهم مرادك فأضاراً أنا بذلك ؛ وهي عاطفة نبيلة حمدتها لك . على أني فيما أذكر أيضاً قد شجعتك على المضي في نقدك وهو في جملته لا يؤيدني . بل إنني قد وافقتك عليه معجباً بفراستك ، مقدرًا لبراعتك في الوقوع من فورك على المواطن التي يجوز فيها النقد والكلام . فأنت ترى أن المؤلف لم يغضب ، بل ابتسم واغتبط ليقظة الناقد . في الواقع إنني لست أو من كثيراً بتلك الأسطورة التي تروى عن غضب المؤلفين . واسمح لي أن أتكلم بلسانهم فأقول إن هذا الغضب لا يجد سبيلاً إلى نفس الكاتب

إلا إذا شعر من ناقدته بعزوف عن الحق والجد، ونزوع إلى الخط من القدر مبطن بسوء القصد . فالناقد الذي يحترم شخصي ويهدم عملي لا يغضبني . لأنني أعلم أن الأديب لا يهدمه النقد . فهو كائن ممتاز لا يهدم ، ولا يقبض إلا بإذنه ، ولا يقضى عليه إلا بإرادته . إن الأديب لا يموت مقتولاً ، بل يموت منتحراً . ومع ذلك فإنني لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أي حال ، فإن الغضب علامة الضعف الأدبي . ولا شيء في الوجود أقوى من الابتسامة . ولكن ، من ذا الذي أعطى القدرة على الابتسام الصافي الجميل في كل موقف وفي كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معي أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟ ( إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد ) ... تلك كلمة لعمر الخيام ، وضعتها في صدر

كتابي (عصفور من الشرق) الذي لم أكتب منه في سنوات  
ثلاث أكثر من ثلاثة فصول . وإنك لتعجب إذا قلت  
لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة قد  
انكشفت لبصيرتي آخر الأمر : عدم استكمال الصفة  
العليا التي يرتديها بعض رهبان الفكر كما ترتدى  
المسوح : الصفاء .

إن كنت من رأيي في كل هذا فإن لي عندك حاجة :  
أن تنثر معي تلك الابتسامة بين الأدباء ، فإن الأدب  
شئ جميل ؛ هو جنة لا صخب فيها ، وهو معبد  
لا تدخله الأحقاد . إن أعجب ظاهرة في أدبنا أنه لا توجد  
فيه صداقات عظيمة جدية أن يتحدث عنها تاريخ الأدب ؛  
تلك الصداقات التي نراها في آداب الحضارات الكبرى  
قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال .  
ما الذي يعوزنا نحن ؟ أهو شئ في الخلق ؟ أم هو ضعف

في النفس ؟ أم هو نقص في الثقافة ؟ لست أعلم . إنما  
الذي أعلمه : أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب  
والفكر ، هي أظهر دليل على نضوج هذا الأدب ،  
وهذا الفكر .

الفاخرة في يونيو عام ١٩٣٦ من رسالة إلى أحمد أمين .

## منابع الفن المصرى

فى عام ١٩٣٣ عقب نشر كتابى « أهل الكهف »  
جاءنى أديب صحفى يحدثنى فى شأنه ويسألنى فيما حملنى  
على اختيار موضوعه ، فأجبتة :

— حملنى على ذلك شىء واحد : الرغبة فى كتابة  
مأساة مصرية على أساس مصرى . إنك تعلم أن أساس  
المأساة الإغريقية هو « القدر » . هو ذلك النضال الهائل  
بين الإنسان والقدر ! فهل تعلم ما أساس المأساة المصرية  
كما أتصورها ؟ أساسها : « الزمن » ؛ أساسها ذلك النضال  
الهائل بين الإنسان والزمن . اقرأ « كتاب الموتى »  
تحس ذلك للفور . عند الإغريق هو « القضاء والقدر »  
وعند المصريين هو « الزمان والمكان » . لكل من  
الشعبيين تنين مخيف كتب على الإنسان قتاله ! وأنت



تري أن « تنين » المصريين وهو « الزمان والمكان » ، رأسه في هذه الأرض وذنبه في العالم الآخر المجهول . نعم إن مصر لا يمكن أن تفكر في غير الخلوص إلى حياة أخرى . دائماً ماوراء الطبيعة . دائماً الفلسفة الدينية دائماً ذلك الفزع من الموت وذلك الأمل في انتصار الروح على الزمان والمكان ! وذلك الانتصار إنما هو في « البعث » . . بعث لا إلى عالم آخر لا يعرف الزمان والمكان . وإنما بعث إلى عين هذا العالم ونفس هذه الأرض بزمانها ومكانها . ولقد شيدوا الأهرام لتقوى على هذا التنين . حصون الروح في حربها المخيفة مع عناصر الفناء الآدمي . التحنيط كذلك اختراع آخر ولدته ضرورة الدفاع في تلك الحرب الضروس ! أين تلك الحرب من حرب طروادة ! لم تكن مصر في حاجة إلى هو ميروس منها يسطر أخبارها . لأن صليل تلك الحرب

لا يوصف من قلم بشرى . إنها صيحات الروح تدوى  
 طول الأبد من بين سطور « كتاب الموتى » . إن أعظم  
 مأساة لم تدون ولا يمكن أن تدون : المأساة المصرية ! .  
 وبعدهذا تسألني ما الذي حملني على كتابة « أهل الكهف »  
 إنها صورة ضئيلة وصدى خافت لتلك المبارزة بين « الزمن  
 والإنسان » وفي قصتي « شهر زاد » صورة أخرى  
 للمبارزة بين « الإنسان والمكان » .

— إذن أتم تقولون باستيحاء الفكر المصري

القديم ؟

— إني أقول باستيحاء كل ما هو مصري .

— وكيف نميز ما هو مصري عما هو دخيل على

مصر وقد دخلت مصر وتداولتها حضارات مختلفة ؟

— في مصر أفكار ثابتة لم تتغير إلا قليلا منذ عهد

الأساطير الأولى حتى اليوم . ذلك لأنها متصلة بصميم

هذه الأرض ، ومستوحاة من نفس طين هذا الوادي الخصب ، ومن نفس هذا النيل الخالد . إن أفكار الإنسان وعقائده ودياناته وخرافاته إنما تولد من مظاهر الحياة التي حوله . ما اليونان بأساطيرها وفلسفتها بغير البحر المتوسط وجزر اليونان ؟ وما أساطير النرويج بغير الغابات وبحر الشمال ؟ وما فلسفة الهند بغير نهر الجانج المقدس وأدغال الهند ! ؟؟ . كذلك هل يتصور تفكير مصرى بغير هذه الأرض الخصبة البطحاء التي تلد الخير في كل عام دون أن يصيبها العقم أو يبدو عليها الهرم ؟ شبابها خالد . هذا الشباب الذي تفهمه مصر حق الفهم . وها هي ذى آثار مصر منذ الأزل من تماثيل وصور على حيطان المعابد هل شاهدت فيها تمثالا واحداً يمثل إنساناً هرمياً ؟ كل تماثيل مصر وصورها تمثل الشباب لأن كل مظاهر الحياة في مصر من أرض وماء وسماء

فتية قوية رقيقة تتجدد وتبعث وتوحى بالحياة الدائمة .  
 إن العمر لا وزن له في مصر . آلهتهم وملوكهم وكهانهم  
 وعبيدهم حليقون نحفاء لا يبدو عليهم عمر ولا سن ولا  
 أثر واحد من آثار الزمن . شباب وفتوة وقوة كهذه  
 الأرض السوداء البطحاء ، التي ما وخطها قط المشيب .  
 إن الزمن لا وزن له عند مصر ، خوفاً منه واحتقاراً له ،  
 أو حفيظة عليه ؛ كل ذلك جائز . إنما الواقع أن مصر  
 كانت تؤمن إيماناً عجيباً بانتصارها على الزمن رمز  
 «العدم» بالبعث الدائم .

فها هو ذا النيل في انتظام يحيا ويموت مرة في كل  
 عام . موت وبعث . وبعث ثم موت . هكذا دواليك  
 كساقية النيل ذات الجرات الحمراء ! من هذا النيل خرجت  
 أساطير البعث . وفي هذه الأرض الجميلة الدائمة الخصب  
 نشأت فكرة الخلود وقاتل «العدم» تشبثاً بهذه الأرض

المحبوبة التي لم تخلق الآلهة جنة سواها . فهي المرجع  
والمآب . يموتون عليها ويعودون إليها . موت ثم حياة  
ثم موت .. وهكذا إلى أبد الأبدین . لا الموت يفنى ولا  
الحياة تفنى . شأن هذا النيل في حياته وموته .

تلك فكرة أساسية من أفكار مصر الثابتة .  
ولدت في العهد الفرعوني الوثني الأول ، فهل تراها  
تلاشت مع العهد المسيحي أو مع العهد الإسلامي ؟ كلا  
لم تتلاش . ولم تكن مصر تقبل اعتناق المسيحية أو  
الاسلام ديناً لها لو لم تجد في هذين الدينين فكرة البعث  
في جوهرها ولبها . ولقد رفضت مصر دين إسرائيل  
خلوه من تلك الفكرة التي لا تعيش مصر بغيرها ،  
البعث هو نشيد مصر الخالد .. يغنيه النيل في كل عام ..  
والنبات والطيور والسماء .. والشعراء !

— إذن البعث والزمن من أفكار مصر الثابتة

التي تصلح وحيًا للأدب المصرى الحديث فى رأيكم ؟  
 - بلا شك ، وفكرة أخرى : قوة القلب . بغير  
 قوة القلب أى قوة الإيمان والحب ما كانت مصر  
 تستطيع أن تنشئ هذا الفن العظيم الذى انتصرت به  
 فعلا على الزمن ولا تزال تنتصر به عليه فى كل جيل .  
 وقلب الفنان المصرى الذى نحت تمثال « شيخ البلد »  
 أو تمثال « نفرىتى » ما زال ينبض بالحياة ، ويحس حياته  
 رواد متحف اللوفر ومتحف برلين !

- ومصر فى عهد المسيح والاسلام ؟

- مصر فى العهد المسيحى كان فيها أدب قصصى  
 دينى صوفى رائع تلمس فيه الشخصية المصرية بأفكارها  
 الثابتة ووسائلها الخاصة أكثر مما تلمح فيه الطابع  
 الرومانى . ومصر الإسلامية شيدت مساجد ضخمة  
 المظهر قوية البنيان بسيطة التفصيل ، لولا أسلوب البناء

الإسلامي نخلتها معبداً فرعونياً في عظمة الأثر الذي تحدته في النفس . ذلك أن فن العمارة الإسلامي يسمو بالزخرف لا بالبناء . والفن الفرعوني المعماري يتفوق بالبناء لا بالزخرف . لهذا السبب كان الفرق ملحوظاً بين بعض مساجد مصر الشهيرة « قلاوون » و « السلطان حسن » الخ الخ ، وبين المساجد الأخرى في غير مصر ، وكذلك كلما استوحى الفنان المصري تاريخ قلبه وأرضه ، أنتج فناً شخصياً لاصلة له بغير هذا القلب وهذه الأرض . وقس على ذلك الشعر والقصص الذي ظهر في مصر الإسلامية مفعماً بروح هذه الأرض لا بروح البادية أو وحي أمة أخرى .

— وما قولكم في الأسلوب الأدبي الذي يميز مصر  
ويطبعها بطابع خاص ؟

— الأسلوب هو مزاج الفنان وطبيعته ووسيلته

الخاصة في إظهار مكنون فكره أو هو الشخص كما قال « بوفون » ، هذا صحيح إلى حد ما : إن الكاتب إذ يخلو إلى نفسه ، وقلبه ويترك التصنع والتقليد يستطيع أن يهتدى إلى أسلوبه . لكن لا تظن الطريق هينا : ذلك الطريق الوعر الطويل بين الإنسان وقلبه ! إن القلب البشري لأعمق من أن يستكشف قراره من أول نظرة ، إن قلب الإنسان بئر سحيق رسبت فيه تجاريب جنسه وأمه آلاف السنين طبقة فوق طبقة . فعليه إذن أن ينزل طبقات هذا البئر ، وهأنذا أعود بك إلى نعمتي الأولى : حتى الأسلوب ينبغي لنا أن نبحث عنه في أرض مصر وفنها على مدى الأزمان . ولقد سبقنا إلى ذلك البحث أمم الغرب مع الأسف . الفن الحديث كله من تصوير ونحت وعمارة انطلق يبحث عن وسائل جديدة للتعبير فوجدها في مصر القديمة : وجد البساطة في



التخطيط . وجد طريقة تركيب الأشكال المختلفة على قواعد هندسية « الكوبزم » ، وجد وسائل التعبير عن حقائق « الشكل » التي تخفى على العين العادية . وجد أساليب الحركة والإضاءة في التماثيل والأعمدة مما لا نظير له في قوة الأداء وبساطته . كل ذلك وجدته الغرب وشيد على أساسه فناً جديداً . ونحن نستطيع أن نجد أكثر من ذلك لو بحثنا طويلاً وتأملنا ملياً . إن كنوز قلوبنا العميقة لا قاع لها . وهي أدنى إلى أيدينا من الغرباء .

— وأي أسلوب اخترتموه لأهل الكهف ؟

— لست أعرف . على النقد أن يجيب . إن

المؤلف لا يقع في الخطأ إلا عند ما يحاول الكلام في عمله . إن الإنسان لا يستطيع أن يرى ملامحه أو يصفها إلا بالمرآة والنقد هو المرآة .

— وهل ستقدمون أهل الكهف للتمثيل ؟

— إنى لم أكتب هذه القصة للتمثيل ، ولو كان فى مقدورى معالجة الفكرة فى قصيدة أو فى صورة زيتية أو فى قطعة موسيقية لفعلت . إنما كانت وسيلتى فى إخراج الفكرة هى الحوار . ذلك القالب الذى أحبه بين قوالب الأدب . ومع ذلك أليست القصة التمثيلية أحيانا شكلا من أشكال الأدب . لها كيان مستقل متسق كلقصيدة والصورة والهيكى الهندسى : ذات جمال فى التركيب وتناسب فى الفكرة يوحيان بالمدة الفنية لذاتها . إن التمثيل أحيانا إن هو إلا مجرد تفسير وليس ضرورة أو غاية أو إتاما للقصة التمثيلية . إن ما سى سوفوكل ، ودرامات كالىداسا الهندى وفاوست تأليف جوته لهى كلها أدب صراح . تدخل على النفس بمجرد قراءتها لذة فنية كاملة بغير حاجة إلى مسرح وممثلين . ولقد أعدت

النظر أخيراً في مأساة « هيبوليت » لأيرويد ففضلتها على « فيدر » لراسين . مع أن راسين راعي مقتضيات المسرح في عهده وحذف « الكورس » . فوجدت أنا الجمال في هذا « الكورس » المحذوف ، ووددت لو أستطيع إدخال « الكورس » في قصة أكتبها . نعم « الكورس » الآن في أواخر القرن العشرين !! سأعيد إليه اعتباره يوماً . إنما في لون آخر وبروح أخرى مستمدة من ( كتاب الموتى ) ، وأوراق البردى<sup>(١)</sup> .

(١) أرسل إلى أخيراً « أتين دربوتون » مدير مصلحة الآثار المصرية بحثاً خاصاً بالمأساة في مصر القديمة ، ضمنه ترجمة دقيقة لأجزاء من حوار أبطال قصة مقدسة وكلام « الكورس » كما وجد حديثاً في بعض أوراق البردى . وقد أدهشني جمال القطعة ، كما إنها قد كشفت للعالم دربوتون وبعض زملائه من مشاهير علماء الآثار في العالم عن منبع « المسرح الأغرنيقي القديم » ، إذ تبين أن هذه القطعة التمثيلية تشمل قسمين : قسم كلاسي وقسم غنائي ، وأنها كانت تمثل في المواسم الدينية ، فالغناء إذن والكورس والرقص الديني الذي عزى إليه « نيتشه » أصل التراجيديات الأغرنيقية ، إنما يرجع إلى أصل أقدم منه هو « التراجيديات المصرية القديمة » .

نعم إن «الكورس» الخفى الذى أسمع همسه الغريب ،  
وآهاته المتقطعة ، ونوحه المخنوق ، ثم هدوءه العميق ،  
ثم نهوضه وصياحه وإعلانه الانتصار ! . . . لهو شئ  
بعيد عن المسرح قريب من المعبد ، عسير على الكلام  
تفسيره ، مستطاع للموسيقى وحدها التعبير عنه .

## الثقافة الشرقية

إذا كنت قد أطلت الكلام في روح مصر وتراث مصر ، فما ذلك عن رغبة في حبس تفكيرنا في حدود قومية ضيقة . إنما أنا أرمى إلى غاية أبعد وأرحب . إنى أريد تدعيم الثقافة الشرقية كلها ، والعمل على إنهاضها لتقف إلى جانب الحضارة الغربية قوية غنية . وهذا الغنى لن يأتي إلا إذا عطف كل بلد من بلاد الشرق في أول الأمر على نفسه ، ليستخرج من بطن الأرض التي يحيا عليها كل كنوز ماضيها . حتى إذا اجتمع لدى تلك البلاد قدر عظيم من تلك اللآلئ القديمة مجلوة منزوعا عنها التراب ، صب ذلك الثراء كله في معين واحد مشترك ، وقدم إلى الإنسانية باسم : « الثقافة الشرقية » . على أن الذى يدعو إلى الأسف والألم أن بعض المفكرين من

الشرقيين أنفسهم يشكون ويشككون في حقيقة وجود « الثقافة الشرقية » أولئك هم الذين قد بهرتهم انتصارات « الثقافة الغربية » المسيطرة الآن على العالم ، فأعمتهم أشعتها الساطعة ، وأقعدتهم وأسجدتهم يسبحون بمجدها ويفركون أعينهم التي لا ترى شيئاً غير هذا النور الكثير . ذلك هو العمى والعقم والكسل . كذلك لا أقر تلك الفئة الأخرى من الشرقيين الذين يظنون أن التحمس للثقافة الشرقية معناه الجلوس متدثرين في أطمار حضارات بالية يصعرون بخدودهم ويصيحون بألفاظ نكرة مضحكة وخر كاذب . ذلك أيضاً هو العمى ، والعقم ، والكسل . إنما إنهاض الثقافة الشرقية لا يكون إلا بنهوض الشرقيين إلى العمل فيبدأون أولاً بالجرى واللاحاق بما وصلت إليه الثقافة الغربية . تلك الثقافة التي أضافت اليوم كثيراً أعلى ما استطاعت أخذه من الحضارات الأولى .

فثقافة الغرب خصوصاً في العصر الحديث لا تهمل شيئاً أتتجه العقل البشري في أى عصر من العصور وفي أى بقعة من البقاع . فالأوروبيون قد أفادوا من الفلسفة الهندية والصينية (شوبنهاور ونيتشه) ، وحتى من الثقافة العربية والشعر العربي (جوته وهايني) ولكنهم طبعوه بطابع فئهم وتفكيرهم . ذلك أن حب المعرفة والاستطلاع لا يمكن أن يسمح لرجال الفكر الحقيقيين بالاعتناء بلون واحد أو الوقوف عند حد معلوم . فالأوروبيون دائماً يأخذون ما عند غيرهم من ثروة فكرية ليصبوه في قالبهم .

فأوروبا إذن على ثروتها وغناها الثقافي اليوم لم يخطر ببالها قط أن تتقاعد عن قطف ثمار أية شجرة أخرى . إن الفكر البشري ليس له حدود « دولية » إنما هنالك المزاج الخاص والطبيعة الخاصة التي تكيف تلك الثروة

المباحة التي تنهل منها كل ثقافة وكل حضارة .

فالحضارة الأوروبية في الحقيقة لم تخلق بيديها خلقاً  
كل هذه القوالب المعروفة في آدابها وفنونها ولا كل هذه  
النظريات الشائعة في فلسفتها وعلمها . فإن كثيراً من  
هذه القوالب والنظريات مأخوذ عن الشرق في حالته  
الأولية . ولكن الأوروبيين زادوا عليه وأضافوا إليه  
وأخرجوه مهوراً بأمضائهم ومطليبا بشخصيتهم . وهذا  
في الواقع عمل كل حضارة من الحضارات . ولا نستثنى  
من ذلك الحضارة الإسلامية نفسها في عصورها الزاهرة  
فما هي إلا جماع أفكار وثقافات وحضارات أمم مختلفة  
صبها الإسلام في قلبه وجعل منها لوناً خاصاً .

فالثقافة الشرقية إذن لا يمكن أن تكون اليوم  
بمعزل عن ثقافة أوروبا ولا أن تغمض عينيها عن هذه  
الثروة الهائلة ، فلنمد أيدينا إذن غير مقيدين بسلاسل



التقاليد أو العادات أو العقائد ، فنأخذ كل شيء ، ونهضم كل شيء ، ثم نخرج على روحنا القديم كل في بلده ، فنستخلص الأفكار الثابتة المدفونة ، إذ لا ريب أن كل بلد من بلاد الشرق فيه مناخ للفكر مفعمة متألفة لم تستخرج بعد ، فالغرب على نشاطه الفكري ونهمه الذهني لا يستطيع أن يستخرج كل كنوز الشرق مثل الشرق ، إذ لا بد أن تكون معاولة قدار تظمت بحواجز منيعة من أسرار طبيعية لا تكشفها غير طبيعة الشرق وغرائزه وتجاريب حكمته المتراكمة في أعماق نفسه على مدى آلاف السنين .

فإذا تم لنا ذلك ، فإننا نستطيع أن نطبع كل تلك الثروة وكل تلك المادة بطابعنا الخاص ؛ على نحو ما حدث عندما اختلفت طبائع الدول الشمالية في أوروبا عن طبائع الدول الجنوبية ، ففرعت عن الثقافة الواحدة ثقافتان هما

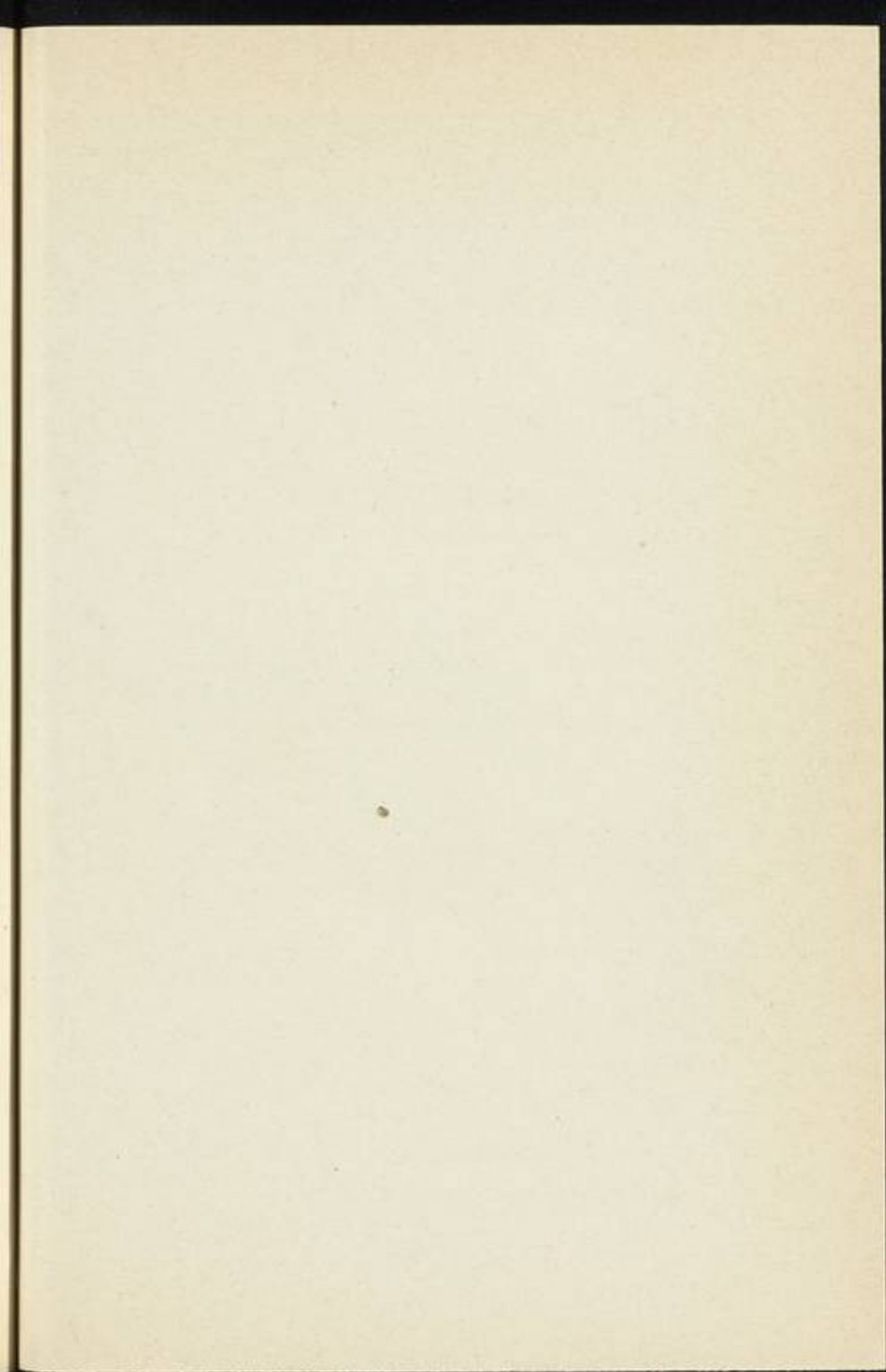
الثقافة اللاتينية والثقافة الأنجلو ساكسونية . ثقافتان لا تختلفان من حيث مقدار الثروة الذهنية ، وإنما تختلفان في الطابع والمزاج والروح . فإذا كان في مقدورنا نحن أن نضيف إلى هاتين الثقافتين العظيمتين ثقافة ثالثة لا تختلف عنهما في مبلغ ثروتها ومادتها وإنما تحالفها فقط في الطابع والطبيعة والروح ، ثقافة نالسة حية نامية جميلة عليها خاتم شخصيتنا الشرقية ، يراها الغرب فكأنه يرى شيئاً جديداً مستقلاً ، قد أخرج لهم من صدر عبقرية جديدة ، فإننا نكون قد أدينا رسالتنا إلى هذا العالم ، وأمكنا أن نساير الفكر البشري في تطوره وأن نساهم بعملنا ومواهبنا في بنائه العظيم ، وأن نظفر أخيراً باحترام هاتين الثقافتين الحيتين القاعدتين ، ذلك الاحترام الذي تنظر به إحداها إلى الأخرى . ويسترد (الشرق) عندئذ اعتباره في نظر (الغرب) .

## كتلة «الروح الشرقي»

سألني سائل عن رأيي في الوحدة العربية . فأحلتها على آرائي السابقة . وقلت له إنني لم أغير موقفي . فأنا على الرغم من رغبتى فى تكوين شخصيات فكرية مختلفة ووحدات سياسية مستقلة لكل أمة من الأمم العربية والشرقية . فإننى أحب أن نتذكر دائماً أننا إزاء الغرب لنا صفة واحدة تجمعنا وينبغى أن نحافظ عليها . فأوروبا اليوم عند ما تبين لها خطر الحروب التى تقوض المدنيينات ، قد ارتاعت وأرادت أن تحافظ على مصير ما تسميه (الروح الأوروبى) ، فأقامت من أجل ذلك المؤتمرات دعى إليها كبار مفكرى الأمم الأوروبية ليدرأوا الأخطار التى تهددهذا الروح الأوروبى المريض . ونحن الشرقيين لنا من غير شك كذلك ما نستطيع أن

نسميه (الروح الشرقى) . إن طابعنا الفكرى وطريقة  
نظرنا إلى الأشياء ، وتقاليدينا ، وإحساسنا بالجمال الذهنى  
ومشاعرنا نحو مظاهر الطبيعة المختلفة ، وأسلوبنا فى  
التعبير عن حقائق الأشياء ، كل ذلك ينم عن عقلية  
خاصة وعبقرية مستقلة لا ينبغى أن تحلل وتتلاشى تحت  
طغيان موجة أقوى ! . فإذا نادينا بالوحدة العربية ، فإنما  
ذلك لندعم كتلة « الروح الشرقى » أمام كتلة « الروح  
الأوروبى » .

في السياسة



## العرائس

ترى ونحن على هذه الحال من البراءة والسذاجة  
لو حدثتنا النفس الملعونة بالنزول من أبراج فكرنا  
العاجية والجلوس تحت قبة البرلمان الذهبية ماذا كنا  
نخطب قائلين للناخبين ؟

أما أنا فإني كنت أقول هكذا :

سادتي الناخبين :

باسم الديمقراطية أتقدم إليكم ملتمساً عطفكم . إني  
أحب الديمقراطية . ومن ذا الذي لا يحب الديمقراطية ؟  
تسألونني ما معنى هذه الكلمة التي تسمعونها هذه الأيام  
كثيراً ؟ تعريفها بسيط : « إن الديمقراطية هي أن رهطاً  
من الجياع الحفاة يمنحون مرتباً شهرياً قدره أربعون جنهماً  
لرهط آخر من الثروة العتاة ! لعل هذا المنطق يدهشكم ،

ولكن تلك هي الحقيقة ! هنالك أعجب من ذلك . فإن جوف الحقيقة مملوء دائماً بالغرائب لمن أراد الغوص عليها . إن بيننا معشر المرشحين وبينكم معشر الناخبين سوء تفاهم كبير . فإننا نطلب إليكم أن تخدمونا وأنتم تحسبون أننا وُجدنا كي نخدمكم ، أنتم تظنون البرلمان هو المكان الذي نتكلم فيه عنكم طول الوقت وعن جوعكم وفقركم وجهلكم . ونبحث تحت قبته كل يوم عن وسائل رخائكم ورقبيكم ؛ ونحن نرى في تلك القبة الذهبية شرفاً رفيعاً لمن استطاع أن يقتنص له تحتها مقعداً ، ونرى في عضوية المجلس لقباً نتوج به أسماءنا ونزين به « بطاقتنا » . إن عضوية البرلمان في نظرنا ليست إلا عربة « الرولز رويس » التي نرفع بها مركزنا الاجتماعي في أعين الشعب . ونحن إذ ننفق المال في هذا السبيل إنما ننفقه ونحن معتقدون أننا نشترى به وظيفة أو لقباً



أو مقاماً ، فإذا ما ظفرنا بما نريد بفضل أصواتكم ،  
 ووجدنا أيديكم العارية السمراء تحملنا إلى داخل ذلك  
 المكان ، فإننا تتربع فيه كالعرائس في « الفترينات » ،  
 ومهما صحتم وناديتم وصرختم بعد ذلك فإننا لا نسمع  
 أصواتكم لأن بيننا وبينكم حاجزاً من زجاج ، ولن  
 نستطيعوا أن تلمسونا أو تقربونا ، ولكنكم تستطيعون  
 أن تشيروا بأصابعكم من خلف البلور ، فنحسب ذلك  
 منكم إعجاباً ، فنزداد صلفاً وتيهاً !

أيها الناخبون ، عجباً إني حقاً لعلى غاية السذاجة إذ  
 أفضى إليكم بكل هذا في خطبتي التي على أساسها انتخب .  
 ما العمل الآن ؟

أنتخبونني برغم ذلك ؟ لعل صراحتي على الأقل

تشفع لي ؟ !

## الشحاذون

—

إن تعاقب الوزارات السريع في مصر ، يقذف اليوم على أفاريز الفراغ بعدد وافر من أصحاب « المعالي » لا يصنعون شيئاً غير الانتظار في « ميادين » السياسة ، ممدودي الأكف . ينتظرون ماذا هؤلاء المتعطلون ؟ ينتظرون دورهم في العودة إلى الركوب .

نعم . إن « الحكم » أصبح الآن مثل أرجوحة « الخيول الخشبية الدائرة » التي يركبها الأطفال في مقابل مليات ، ولو أعطى طفل ألف مليم لأنفقها كلها في هذه اللعبة اللذيذة ، فهو يحب الركوب لمجرد الركوب فوق هذا الحصان الخشبي المطلي بالذهب ، الملون بأزهي الألوان الخادعة ، وإن دوره ينتهي ورأسه يعيل من الدوار ، فلا يفيق إلا وقد أنزله صاحب الأرجوحة على

الأرض ، فيظل واقفاً بلا حراك ينظر إلى حصانه يدور  
 بغيره ، وفي قلبه الصغير حسرة ، وفي عينيه الزائغتين  
 علامات الصبر النافذ ، إلى أن تنتهي الدورة فيخفق قلبه  
 أملاً في أن يعود إلى الركوب ، وهكذا دواليك !

أما الفائدة من ذلك فلا شيء غير اللهو والسرور ،  
 فهو متى امتطى صهوة الحصان الخشبي تملكه الغرور ،  
 وظن أن هذا غاية الأمل ، وأنه قد وصل . ويلعب  
 برأسه دوار « الأرجوحة » ، أو دوار السلطة الباطلة  
 و « الفروسية » الكاذبة ، فيقنع بذلك ولا يفعل شيئاً غير  
 ازدراء الواقفين في الانتظار وهو يمر بهم مر البرق  
 متعالياً متصايحاً صباح اللذة والظفر !

فالحياة في مصر لهو في لهو ، وتعطل إلى جانب  
 تعطل ، وفراغ إلى جانب فراغ . الجميع من شبان  
 وسياسيين ، وقادة ومقودين ، لا عمل لهم غير التطلع

إلى خيول « المناصب الحكومية » الخشبية وهي تدور !  
وهذا الروح العام قد أثر في روح الشعب كله ، فنحن  
لا نكاد نرى طرقات مصر خالية من أناس أشداء  
يتطلعون إلى موائد المقاهي ، ويمدون أيديهم يطلبون  
شيئا ، لقد سرت روح البطالة والسؤال في كل طبقات  
الشعب ، الجاهل منها والمتعلم ، وكدنا نعتقد أن مصر قد  
نسيت أن في الوجود شيئا يسمى العمل والكسح  
والاعتماد على النفس ، وأن مصر قد أصبحت بلداً تخفق  
عليه راية « التسول » العام ، وهنا الخطر الدائم ، ولا  
أبالغ إذا قلت إن روح « الشحاذة » موجود في كل  
نفس مصرية في الوقت الحاضر ، فالوزير الذي تسول  
طويلا في انتظار منصبه لا يكاد يدخل مكتبه كل صباح  
حتى يرى هو الآخر أفواج المنتظرين من أصحاب السؤال  
يمدون أيديهم ليعطيهم مما أعطاه الله ، فيثقلون كاهله

بطلبات النقل أو التعيين أو الترقية أو العلاوة أو إلغاء  
عقوبة أو التماس منحة ، ويضيع الجزء الأكبر من عمل  
الوزير اليومي في التخلص من هؤلاء السائلين .

وتمكنت هذه العادة المرذولة إلى حد نرى معه  
بعض الناس ينتظرون حتى يسألوا جيرانهم الجرائد  
ليقرأوها « شحاذة » ، وإلى حد أرى معه أنا المؤلف كل  
يوم من يسألني نسخة من كتي « شحاذة » ، ولا أستطيع  
أن أجلس في مكان حتى أسمع من حولي أصوات الإلحاح  
في سؤال شيء من الأشياء .

حقيقة إن الحياة في مصر أصبحت لا تطاق ، فإما  
أن يتغير هذا الروح العام وإما أن نياس ونحكم على هذا  
الشعب أقسى الأحكام .

• على أنى أعود فأقول دائماً إن الذنب في كل هذا  
واقع على كاهل القادة وخدمهم من رجال الحكم والسياسة ،

فهم الذين علموا الشعب كله وغرسوا فيه روح البطالة والتسول والصياح! ولو ان الشعب رأى رؤوسه ورجالاته يعملون في سكون، لخجل وعمل هو أيضاً بغير صخب، ولأصبحنا حقيقة شعباً متحضراً، يعمل ولا يتسول.

أريد أن أضع تحت أنظار وزرائنا، مثل أبي بكر يومولى الخلافة، فقد واصل عمله في بناء الدولة الفتية حتى رضى واطمأن، فجهز إبله ذات صباح، وأراد أن يخرج في تجارة له، فاعترضه الناس دهشين:

— كيف تخرج في تجارتك وأنت الخليفة؟

— وكيف أعيش وتلك صناعتى؟

نعم، هذا الرجل العظيم لم يكن يعتقد قط حتى ذلك الوقت، أن سياسة الدولة عمل يرتزق منه، إنما هو في نظره واجب محتوم عليه كعضو من أعضاء الأمة، أما الارتزاق وأسباب العيش فينبغى أن يكفلها عمل آخر وكدح آخر!

## شجرة الحكم

جنة الخلد بأشجارها وأطيافها وحوورها  
وقطوفها الدانية : « صاحب الدولة » يمشى  
باسمها مرحباً بقرب « الكوثر » متأبطاً ذراعى  
حوريتين جميلتين . . . . .

الخورية الأولى — (باسمة) ما رأيك فى الجنة ؟  
صاحب الدولة — بديعة ، كنسائها . ولو كان  
بقبضتى زمام الحكم هنا لأنشأت على هذا الكوثر  
« كورنيش » . . .

الخورية الأولى — (باسمة) مثل كورنيش  
الإسكندرية !

صاحب الدولة — (بلفت إليها نظرة) ما كنت أحسب  
نساء الجنة على مثل هذا الذكاء . . .

الخورية الأولى — من حسن حظنا أن يدخل

مثلك الجنة . إني لأتساءل لو لم تجي أنت ها هنا ،  
 منذا كان يقدر ذكاءنا ويتذوق جمالنا ؟ أهؤلاء النساك  
 أصحاب اللحى الكبيرة والسبح الوقورة ؟ !  
 صاحب الدولة — إنك ظريفة حقًا . أين رأيتك  
 قبل الآن ؟ ألم تتقابل في الدنيا في مكان ما ؟ في سهرة  
 مثلا . أو في . . . . .

الحورية الأولى — كلا مطلقًا . لم أرك قبل الساعة ،  
 ما ذا كنت تصنع في الدنيا ؟ وأين كنت ؟  
 صاحب الدولة — كنت في مصر ، رئيسًا للوزارة  
 وصاحب حزب من أقوى الأحزاب ، بنيته بيدي في  
 أقل من شهر .

الحورية الثانية — صاحب حزب !؟ ما هو الحزب ؟  
 أهو « قبلا » أم هو « عمارة » ؟ . . . .  
 الحورية الأولى — كلا أيتها البلهاء ، بل هو « عشة



في رأس البر» فهي وحدها التي يمكن أن تبني في أقل من شهر .

صاحب الدولة — (متمضاً) أنتم لا تفهمان شيئاً في السياسة . فلنتكلم فيما يفهمه النساء .

الحرورية الثانية — تقول إنك كنت رئيساً للوزارة؟  
ما معنى هذا؟

الحرورية الأولى — ألا تعرفين رئيس الوزارة؟  
يا لك من حمقاء! هو رئيس الحكومة الأمر الناهي الذي يعين ويرفت ويحيل إلى المعاش بقرار من مجلس الوزراء . ويعطى ويمنع ويتصرف في الميزانية والمصاريف السرية . ويتزاحم حوله ذباب المحاسيب والمقربين ويجتمع ببابه فريق العساكر والمخبرين ، وتتقدم سيارته الموتوسيكلات والكونستبلات . حتى إذا ما استقال أو أقيل تخاطفته مجالس إدارات الشركات . . .

صاحب الدولة — (يفمض عينيه) آه لا تذكريني ،  
لا تذكريني !

الحرورية الأولى — (تنظر إليه) ماذا دهاك ؟

صاحب الدولة — (يثوب إلى نفسه) لا شيء . . (يتهدد)  
إن الدنيا كانت حقيقة حلوة .

الحرورية الثانية — (تلفت خلفها وتصيح) صه . انظر ،  
انظر ! من هذا الرجل الأنيق بين حوريتين ! ؟

صاحب الدولة — (يلتفت دهشا) ماذا أرى !؟ زميلي !

« يدنو الرجل الأنيق فسا يكاد يلمح صاحب  
الدولة حتى يترك حوريتيه ويفتح فاه من الدهشة  
والعجب » .

صاحب المعالي — مستحيل ! ! دولتك في الجنة ؟  
هذا غير معقول !

صاحب الدولة — (يترك هو كذلك حوريتيه ويقبل على زميله)  
معاليك هنا ؟؟

صاحب المعالي - دولتك ...

(بمعان)

صاحب الدولة - أنت حقيقة في الجنة؟!

صاحب المعالي - وأنت؟ أخبرني هل أنت ..

أنت... هنا...؟

صاحب الدولة - (باسم) كما ترى .

صاحب المعالي - هذا من أعجب ما يتصوره

العقل البشري . دولتك في الجنة ...

صاحب الدولة - ما وجه الغرابة؟

صاحب المعالي - كيف أدخلوك هنا؟!

صاحب الدولة - أدخلوني كما أدخلوك ، وكما

أدخلوا غيري من ... المؤمنين الصالحين ..

صاحب المعالي - المؤمنين الصالحين!

صاحب الدولة - (باسم) أتشك في ذلك؟

صاحب المعالي - تدخل اللجنة بعد أن حصل منك  
في دنياك ما حصل؟؟

صاحب الدولة - ماذا حصل؟ وإذا كان قد حصل  
ما حصل ، فهل منع ذلك من دخولي في الدنيا أى مكان  
أحببت الدخول فيه ؟ إني أستطيع أن أذهب إلى أى  
جهة تروقني ، وأستطيع أن أدخل أى مكان يعجبني ،  
وأستطيع أن أدخل في ... عينيك .

صاحب المعالي - نعم . لباقتك ودهاؤك واتهاذك  
الفرص . انتظر . ألا تكون انتهزت فرصة إغفاءة من  
حارس اللجنة وانسلت كما هي العادة ..

صاحب الدولة - أو تظن حارس اللجنة يغف ، أو  
يسهو أو يغفل؟

صاحب المعالي - صحيح . إنه لا يمكن أن يكون  
مثل أهل مصر . إذن كيف دخلت؟

صاحب الدولة - وأنت كيف دخلت؟ أليس لي  
أنا أيضا الحق في التساؤل والتعجب؟

صاحب المعالي - لك الحق بلا شك . . أنا نفسي  
عجبت لأمر نفسي . ولكن بعد أن رأيتك هنا بعيني ،  
لم يعد شيء يدهشني .

صاحب الدولة - اسمع يا باشا ! ألا يكون دخولنا  
الجنة حصل على طريقة دخولنا البرلمان سنة (١٠٠٠) !

صاحب المعالي - كنت أصدق ذلك لو كان  
انتخاب أهل الجنة يحصل بواسطة رجال إدارة وعمد  
وخبراء كالذين كانوا في الدنيا تحت سلطة دولتك .

صاحب الدولة - صدقت . انتخابات أهل الجنة  
لا بد أن تكون مضبوطة .

صاحب المعالي - مضبوطة !! وافرحته !! نحن  
لأول مرة إذن ننتخب انتخابا صحيحا في شيء ما !

صاحب الدولة - هذا لا شك فيه .

صاحب المعالي - ولكن ما السبب في اختيارنا؟

هذا ما يحيرني دائماً !

صاحب الدولة - ألا يمكن أن نكون قد صنعنا

بعض الحسنات دون أن نتذكر؟

صاحب المعالي - أنا على كل حال لا أذكرك شيئاً .

صاحب الدولة - ألم أطعم مرة فقيراً؟ ألم أنشئ

مطاعم للفقراء؟

صاحب المعالي - إنشاء مطاعم للفقراء لم يكن

الغرض منه إطعام الفقراء .

صاحب الدولة - سبحان الله في طبعك . وأنت

ما حسناتك؟

صاحب المعالي - لقد بنيت عمارة شاهقة في

أعلى بقعة في القاهرة .

صاحب الدولة — أتسمى هذه حسنة؟  
 صاحب المعالي — لقد عملت بمبدأ «إعمل لدنياك  
 كأنك تعيش أبداً» .  
 صاحب الدولة — وأين الشطر الأخير من المبدأ؟  
 صاحب المعالي — هل له شطر آخر؟  
 صاحب الدولة — «واعمل لآخرتك كأنك تموت  
 غداً» .

صاحب المعالي — لقد عملت ما قدرت عليه وهو  
 خمسون في المائة من المبدأ... أليس فيه الكفاية؟ ومع  
 ذلك، فلنكن عمليين كما كنا في الدنيا، العبرة بالنتيجة .  
 وهانحن الآن في الجنة، فالنا والبعث عن الأسباب !  
 صاحب الدولة — في الواقع، نحن الآن في الجنة .  
 فلماذا نستكثر على أنفسنا الخير؟ أتريد الحقيقة؟ إن  
 الجنة هي لمن يستطيع أن يتذوق الجنة .

صاحب المعالي — يشهد الله وتشهد دولتك أنى  
من خير المتذوقين للنعيم فى الدنيا والآخرة .

صاحب الدولة — أخبرنى يا باشا ! إن الجنة بديعة ،  
أليس كذلك ؟

صاحب المعالي — طبعاً . أبداع من النار على كل  
حال . . .

صاحب الدولة — ألا ترى مع ذلك أنه ينقصها  
شجرة ذات فاكهة شبيهة .

صاحب المعالي — شجرة « الحُكْم » .

صاحب الدولة — كيف حذرت ؟

صاحب المعالي — ما من فاكهة ألد منها . من  
ذاقها مرة فلن ينساها أبد الدهر .

صاحب الدولة — ولماذا لا توجد هذه الفاكهة

هنا ؟



صاحب المعالي - لأنه لا يمكن أن يوجد هنا  
حاكم ومحكوم ولا ظالم ومظلوم .

صاحب الدولة - أصبت . وحتى لو وجدت هذه  
الشجرة هنا لتكالب عليها الناس أجمعون وخصوصاً  
أصحاب الدولة والمعالي السابقين من عهد نوح إلى يوم الدين .  
صاحب المعالي - مؤكّد . ولما تركوها غير  
أغصان عارية ليس فيها ثمرة واحدة .

صاحب الدولة - حقاً ، إذ ليس لهذه الفاكهة شوك  
يصد الناس .

صاحب المعالي - الشوك هو المسؤولية . وفاكهة  
الحكم كما ذقناها في مصر لم يكن لها شوك ولا نوى .  
بل كانت سهلة المأخذ سائغة المأكل . أما في أوروبا  
حيث رأى العام المتيقظ يحيط هذه الفاكهة  
بأسلاك شائكة من المسؤولية فإن كثيراً من الناس

يعافونها ويخشون أن يمدوا لها يداً .

صاحب الدولة - إن وجدت هذه الفاكهة هنا

فهى ولا شك من النوع المصرى السائغ اللذيذ .

صاحب المعالى - كفى يا دولة الباشا ! إنك تسيل

لعابى . فلترك هذا الموضوع ولنقع بما قسم لنا . فإن

الجنة فيها ما يمكن أن يشغلنا ..

صاحب الدولة - ( كالمخاطب لنفسه معزياً نفسه ) ومع

ذلك ... فإن لذة الوزارة قد قلت ، منذ أن أدخل النظام

البرلمانى . ألا تذكر ؟

صاحب المعالى - نعم ، لقد أصبح أى شخص

أسهل عليه أن يكون وزيراً من أن يكون موظفاً فى

الدرجة الثالثة !

صاحب الدولة - وأسفاه ! لم تعد الكفاءة

شرطاً لدخول الوزارة ؟

صاحب المعالي - ومتى كانت الكفاءة يا دولة  
الباشا في مصر شرطاً لدخول الوزارة ؟

صاحب الدولة - صدقت . ولكن في العهد  
القديم ، يوم كان ولي الأمر هو الذي يختار ، سواء كان  
هذا الولي مصرياً أو أجنبياً ، فهو وإن كان يخضع هو  
أيضاً لاعتبارات خاصة في الاختيار ، إلا أنه كان دائماً  
يراعي توفر شروط الكفاءة في الإدارة الحكومية على  
الأقل ، إلى جانب شروط اللباقة والكياسة والمقدرة  
على إقرار النظام وحفظ الأمن الخ . . . ولكن  
انظر إلى الاختيار وقد ترك أمره الآن في يد الشعب  
إنه كما قال « هتلر » في إحدى خطبه : « قد يكون من  
الأسير أن نأمل في رؤية جمل يمر من ثقب إبرة ، على أن  
نأمل في رؤية رجل عظيم يستكشف عن طريق انتخاب  
الجمهير » .

صاحب المعالي - هذا يادولة الباشا قول يجوز في  
ألمانيا وأوربا، أما في مصر فمن قال إن الشعب أو الجماهير  
تنتخب أحداً؟

صاحب الدولة - صدقت، إن في مصر الحال أيضاً  
أعجب من ذلك . فإن الشعب لا ينتخب ، ولا يدرى  
ما هو الانتخاب . ولكنه يرى معدات «الموسم» قد  
نصبت، ويسمع الطبل والزمر، ويجد أشخاصاً قد أقبلوا  
في السيارات «يجمعون» أصواته بالنقود والوعود .  
فشأنه في «موسم الانتخاب» كشأنه في «موسم دودة  
القطن» سواء بسواء ، حيث يرى سيارات مقاولي  
الأنفار قد أقبلت تجمع الأنفار بالحبوب والنقود . وهكذا  
يعمل جماعة من المقاولين لحساب جماعة من الممولين  
يصبحون في الغد هم الوزراء ! فأين إذن الكفاءة في كل  
ذلك؟ المسألة بسيطة: جمع «الأصوات» وجمع «الدودة»

إنهما إلا عملية واحدة في أرض مصر، عمادها: «النقود ومقاولو الأنفار» من جانب و«ساعدالحكومة» من جانب آخر. فمن آزره أحد العاملين، فقد جمع «دود» أطيانه وجمع «أصوات» أنفاره، وضمن «المحصلين» في دائرته السعيدة وناحيته العامرة!! وهكذا ينتهي الموسم ويكشف كل فريق عن أوراقه، فيصيح الفريق الأكثر مالا، أو الأقوى سلطانا، أو الأهمر دجلا صيحة الانتصار! ويعلن أن الأمة قد أحسنت «الاختيار»!

صاحب المعالي - (يضحك) هذا صحيح. كل هذا صحيح. ولكنك نسيت يادولة الباشا أنك لجأت إلى كل هذه الوسائل وخذقتها أكثر من غيرك!

صاحب الدولة - إنى معترف بذلك. وهل كنت تريد مني أن لا أنتفع خير انتفاع بهذا الطريق الجديد السهل المختصر للوصول إلى الحكم؟ مادامت تلك كانت

« عملة » العصر التي تظفر بالغنيمة ، فهل من لوم على إذا  
 حذقت التعامل بها في ذلك السوق ؟

(تنهاس الحور الأربع ، وقد كن يسمعن ما يدور  
 بين الوزيرين صامتات دهشات وهن على مقربة  
 منها ...)

حورية - (نأل جارتها) : عجيباً ! كل حديثهما في  
 السوق والموسم والوصول إلى الحكم ولذة السلطة  
 والانتصار على الفريق الآخر ، والظفر بالغنيمة . ماذا  
 كان عمل هؤلاء في الدنيا ؟!

إحدى الحور - وزراء !

الحورية - اللهم حكمتك ومشيتك ! ولماذا إذن  
 أدخل الجنة مثل هؤلاء ؟!

إحدى الحور - تقديرًا لبراعتهم ! فقد استطاعوا  
 الاحتفاظ بإجلال أمتهم لهم ، بعد كل ذلك !  
 الحورية - أصبت ! حقاً إنها لبراعة !!

## البعث

—

« حوريس — انهض ، انهض يا أوزيريس !

أنا ولدك حوريس . . .

جئت أعيد إليك الحياة ،

جئت أجمع عظامك ،

وأربط عضلاتك ،

وأصل أعضائك . . .

أنا حوريس الذى يكون أباه .

حوريس يعطيك عيوناً لترى ،

وآذاناً لتسمع ، وأقداماً لتسير ،

وسواعد لتعمل . . .

ها هي ذى أعضائك صحيحة ،

وجسدك ينمو ،

ودماؤك تدب في عروقك .

إن لك دائماً قلبك الحقيقي ،

قلبك الماضي !

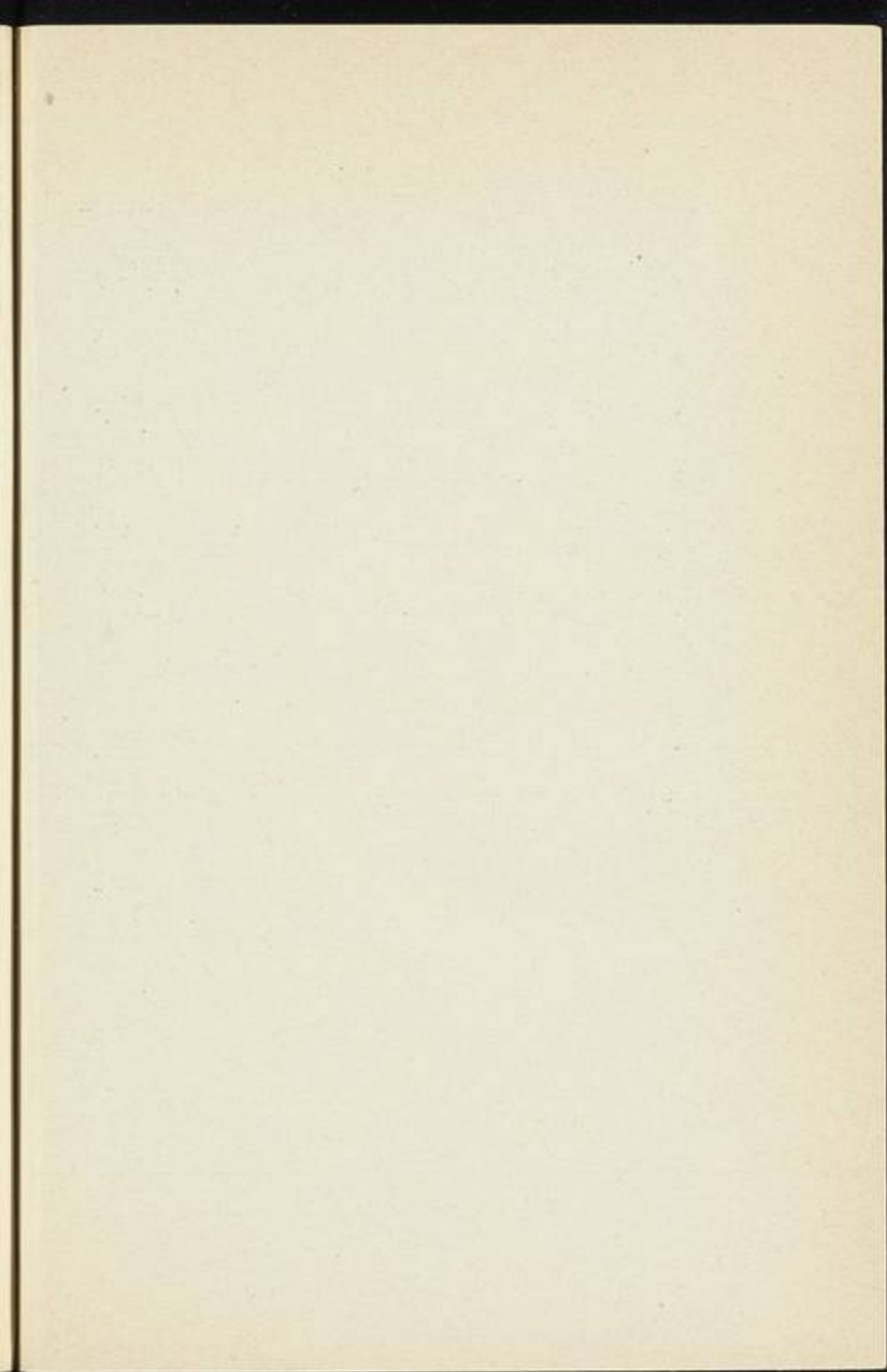
الميت — إني حي ، إني حي ! ... »

« كتاب الموتى »

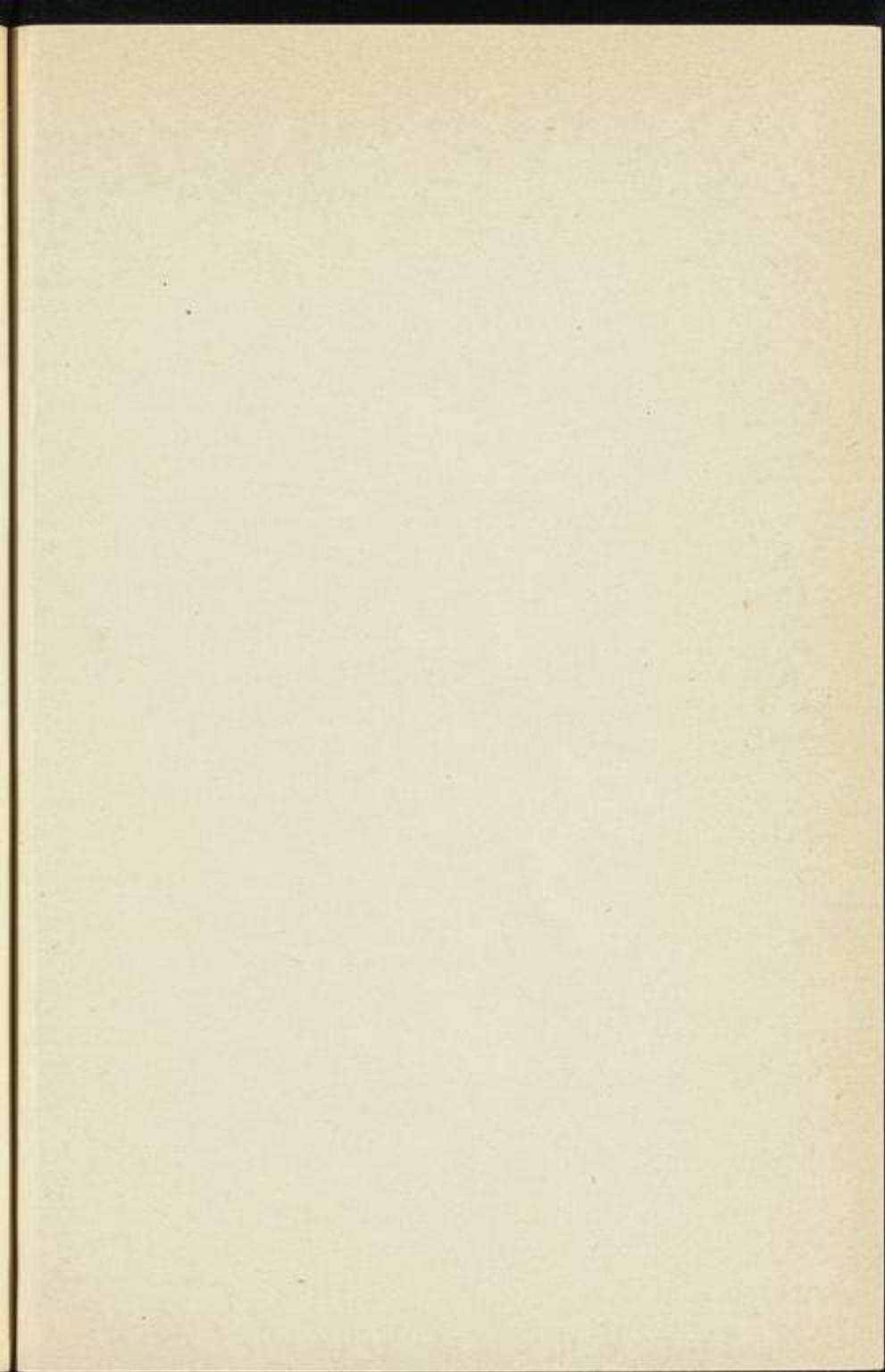
وحوريس ليس إلا الشباب ، يعيد الحياة إلى  
ماضيه الميت . نعم هو الشباب الذي يكون أباه الوطن .  
وقد أعطاه بالفعل عيوناً يرى بها غابره العظيم في حريته  
وحاضره الذليل في قيود الغرباء ، وآذاناً يسمع بها ضحكات  
السخرية من أفواه الجبناء الذين جاءوا يستغلون رقادهم  
ويستلبون خيراته . كما أعطاه أقداماً يسير بها كي تثبت لهم  
أنه حي ، وسواعد يعمل بها على تشييد الصرح المهديم .  
إن أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو . وها هو  
ذا جسده يتحرك وينمو ، والدم يجري في شرايينه .



والشباب على رأسه يصيح : « إن لك دائماً قلبك الحقيقي .  
قلبك الماضي ! . » ، ويخيل إلى أنى أسمع الوطن من كل  
جانب يلبي النداء ويحبب الشباب الأبناء : « إني حي ،  
إني حي ! » إني دائماً أو من بأن مصر لا يمكن أن تموت .  
لأن مصر منذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف السنين  
لهدف واحد : مكافحة الموت . ولقد فازت مصر ببيغيتها .  
وكما ظن الموت أنه انتصر . قام حوريس من أبنائها  
يصيح : « انهض ، انهض أيها الوطن ! . إن لك قلبك ،  
قلبك الحقيقي دائماً . . . قلبك الماضي ! » ، وإذا الموت  
يتراجع أمام صوت داو من أعماق الوطن :  
« إني حي ، إني حي ! » .



في المرأة



## المرأة والمجتمع

إنه ليدهشني حقاً أن بعض الشباب المثقف نادى يوماً بفصل الجنسين في الجامعة المصرية ، في وقت أثمر فيه نظام الدراسة المتحددة وأخرج لنا فتيات حائزات على الليسانس والماجستير والدكتوراه ، هن نخر مصر وهن أنصع دليل على رقي مصر العقلي في الوقت الحاضر . إن القول بأن المرأة للبيت لا لمزاحمة الرجل لا يحول مطلقاً دون تثقيف المرأة تثقيفاً تاماً لتكون زينة البيت وأستاذ الطفل ومعلم الجيل . إن المرأة ليست قطعة من أثاث البيت توضع فيه بجهلها وعقلها المغلق . وهي ليست خادماً تطعم الرجل وتغسل له ملابسه ؛ ولكنها شريك محترم ينبغي أن يجد فيه الرجل متعة عقلية تحبب إليه البيت .

أما شبع رجالنا طول الأجيال الماضية جلوساً في  
القهوات والحانات يأنس بعضهم ببعض ، هارين من  
وحشة المنزل الذي لا يحوى غير نساء كالتخادعات ؟ نعم .  
إن المرأة للبيت . ولكنها لكي تكون بحق ملكة البيت  
وقرة عينه يجب أن تتقف أكل ثقافة . إن من النساء  
في صدر الإسلام من فحن الرجال في فنون الشعر والأدب  
والعلم والجدل . وقد كان لبعضهن مجالس مشهورة  
يحضرها رجال الدولة ونوابغ الشعراء والأدباء والمغنين .  
وكان ذلك في عصر لم تراحم فيه المرأة الرجل في المناصب  
والأعمال . كذلك فلنقل عن ثقافة المرأة الأوروبية  
يوم كانت - صالوناتها - تضم أعظم العباقر دون أن  
تخرج المرأة وقتئذ من أجل ذلك عن وظيفتها فتراحم  
الرجل في أسباب معاشه . لا ينبغي إذن أن نخلط بين  
أمر تثقيف المرأة وبين أمر وظيفتها . إن المرأة زهرة

البيت وروحه ، بل زهرة المجتمع وروحه ، كلنا في ذلك متفقون ، فلنجعلها إذن زهرة . وهل نعرف زهرة أينعت دون أن تتعرض قليلا للشمس والهواء !؟ فلنحاذر كل الحذر من حبس المرأة . فإن في ذلك حبساً لعقلها وموتاً لشخصيتها . ولنذكر أننا إلى اليوم ندفع غالباً عن سجن المرأة المصرية في الماضي . فهي كلما دعتها الظروف إلى مواجهة الحياة والمجتمع اهتزت قدمها ضعفاً واحمر وجهها حياء وتلعثمت وتعثرت في هزلها النفسى والفكرى وظهرت بمظهر يدعو إلى الرثاء والإشفاق وبدت للأعين أقرب إلى الخاديات المحجوبات منها إلى سيدة مهذبة قوية بشخصيتها وتجاربيها واثقة من نفسها ومن احترام الناس لها . كل هذا حدث لأن المرأة في مصر ذبل عقلها من طول السجن ولم تعتد مواجهة المجتمع منذ الصغر . إن إقصاء المرأة عن مجتمعنا

كما يقصى الحيوان الحقير جريمة فظيعة ، هي القتل المعنوى  
بمعناه لا أكثر ولا أقل . وهى الامتحان لكرامتها  
ولآدميتها امتحاناً يجب عليها أن تثور من أجله وأن تقيم  
الدنيا وتقمدها ولا تسكت عنه كما سكتت فيما مضى  
من أجيال . فإن المسألة مسألة حياتها أو موتها . وإن  
الذين يريدون قتلها باسم الدين ، والدين برىء ، لا يدركون  
أنهم بذلك إنما يقتلون أنفسهم بأيديهم .  
إن عقل المرأة إذا ذبل ومات فقد ذبل عقل الأمة  
كلها ومات .



## المرأة والفن

إني إذ أتكلم عن الفن لا يسعني إلا أن أعترف  
مرغمًا أن المرأة هي روح الفن . ولو لم توجد المرأة على  
هذه الأرض فربما وجد العلم ، لكن المحقق أنه ما كان  
يوجد الفن ، ذلك أن الإلهام الفني هو نفسه قد خلق  
على صورة امرأة ، وأن لكل لون من ألوان الفن عروسًا  
هي التي تنثر أزهاره على الناس . ما من فنان على هذه  
الأرض أبدع شيئًا إلا في ظل امرأة ، وهذا القول مني  
غريب ، ولأبادر بتوضيح قصدي حتى لا يقال إني  
رجعت إلى فضيلة الحق ، أعني الحق الذي تراه المرأة ،  
كلا إني لم أرجع إلى هذه الفضيلة بعد . وكل ما في المسألة  
أني دائماً أفرق بين المرأة كشيء يوسمى بالجمال ، وبين  
المرأة كمخلوق يريد أن يستأثر بكل شيء في حياتنا .

إن عداوتي لهذا المخلوق لن تنقطع مادمت أخشى منه .  
إن عداوتي ليست إلا دفاعاً عن نفسي . فلو أن المرأة  
تمثال من الفضة فوق مكثي ، أو باقة من الزهر في  
حجرتي ، أو أسطوانة موسيقية أنطقها وأسكتها  
بإرادتي ، لما كان لها عندي غير تقديس وإكبار  
لا يحددهما حد . ولكنها للأسف شيء يتكلم ويتحرك ،  
وهي أحياناً كالطفل يلقي من النافذة كل شيء ثمين  
ويجلس على حافتها يضحك ضحكة الانتصار . على أن  
الإِنصاف يقتضي أن أقول إن المرأة إذ تحطم من جانب  
فهي تبني من جانب . إنها كالطبيعة في يديها العبقريتان :  
عبقريّة الفناء وعبقريّة البناء . وإنه لمن المستحيل أن نرى  
في التاريخ حضارة قامت بدونها ولا انحطت بدونها ،  
وأن عرشها في مملكة الفن أظهر العروش . إنني أستطيع  
أن أقول على سبيل المثال إن أجمل الفن الرومانتيكي

الفرنسي إنما نبع تحت أقدام « مدام ريكاميه » وإن  
صالونات السيدات في أوروبا، ومجالس الشعر والغناء في  
الشرق عند العرب هي التي أخرجت أجمل ما في الغرب  
والشرق من شعر وآداب وفنون . ولا أستطيع أن  
أضرب هنا الأمثلة ، ولكن من يفتح أي كتاب من  
كتب العرب القديمة يرى وصف تلك المجالس التي كانت  
تتصدرها نساء كالشموس ، وتضم فحول الشعراء  
والمغنين ويقرأ تلك الأخبار التي لا تنتهي عن ذكر  
الجواري المثقفات والنساء الشريفات اللاتي كن ينظمن  
في السر والعلن تلك المجالس التي فيها نظم أجمل الشعر ،  
وتفتحت أزاهير أنبغ القرائح ، ولعلية أخت هارون  
الرشيد ذوق في فنون الشعر والغناء أثر فيمن حولها من  
كبار الفنانين والشعراء . ولمدام دي بومبادور أبرزيد  
في حركة الفكر والفن في عصرها . ففي الغرب هي

المرأة ، وفي الشرق هي المرأة ؛ حيثما وجدت المرأة صاحبة الذوق وجد في الحال الفن ، ونهض الفكر ، وقامت الحضارة . وإذا قيل إن مصر الحديثة لم تر بعد فنا ناهضاً ، ومن ثم لم تبد أمام العالم بعد في ثوب الأمة المتحضرة . فإن السبب الوحيد أن المرأة المصرية ذات الذوق والروح مازالت في مصر نادرة الوجود ، إن اليوم الذي تعنى فيه المصرية باقتناء « لوحة زيتية » صغيرة أو « اسكيس » بسيط ينم عن ذوق تزين به جدار منزلها هو اليوم الذي يزهر فيه عندنا التصوير . واليوم الذي تهتم فيه المصرية بشراء نسخة من كل كتاب جديد للمؤلف الذي تفضله وتجلد هذه النسخة وتعرضها عرضاً جميلاً ، وتتحدث عما فيها من كلام وأفكار في مجالسها ، لهو اليوم الذي يرقى فيه عندنا الفكر والأدب ، وإن اليوم الذي توجد فيه المرأة العظيمة التي تكرس بعض

همها لا يقاظ هم الفنانين وتنشيط الحركة الفكرية هو  
 اليوم الذي تقترب فيه من المدينة الحقيقية ، نحن في حاجة  
 إلى « البيت المصري » الذي تنمو فيه كل ملكات الطفل  
 الجميلة . إن الطفل الأوروبي منذ اليوم الأول الذي  
 يستقبل النور فيه لا ينام إلا على غناء جميل ، وما يمضي  
 قليل حتى تقوده أمه في عربة صغيرة إلى الحدائق ،  
 فلا يقع نظره الهادي اللامع ، في غير وعى ولا  
 إدراك ، إلا على الطبيعة الجميلة ، بسماؤها وجنانها ،  
 وجداولها . وما يكاد يمي ويدرك بعض الإدراك حتى  
 توضع في يديه كتب لا كتابة فيها ولا كلام ، بل صور  
 جميلة ملونة للحيوانات والطيور والمخلوقات ، وللطبيعة  
 في مظاهرها الوضاعة الساحرة ، فيحس جمال الرسم قبل  
 أن يفقه معنى كلمة « الرسم » ويغرب لتناسق النغم قبل  
 أن يعرف ما هو الغناء ، ويشعر بتناسب الأوضاع

وتجاوب الألوان فيما يحيط به من مظاهر الخليقة ، ولما يعلم الكلمات والألفاظ التي يعبر بها عن كل هذه المشاعر فهو قد أدرك وجود الجمال عن طريق الإحساس ، فلا ينقصه بعدئذ إلا إدراكه عن طريق العقل والمنطق وهو عمل المدرسة والكتب . على أن مجرد الشعور بوجود الجمال في المخلوقات والأشياء طفرة كبرى في التكوين الروحي للطفل . فإجمالاً إلا المظهر الخارجي والثوب البادى للنواميس العليا ، ففي إدراك وجوده إدراك خفي مبهم لعظمة تلك القوانين التي تنظم الوجود . وهذا الإدراك للجمال هو كل شرف الإنسان وفضله ، وهو وحده الذي يميز الإنسان عن سائر الحيوان ، فلو شعرت الحيوانات يوماً بالجمال لما لبثت حيوانات دقيقة واحدة . إن أظهر عيب في المصرية الآن هو افتقارها إلى الذوق ، أى الإحساس بالجمال في الأشياء . كم من المصريات تعتبر

الأزهار في بيتها ضرورة كضرورة الطعام والشراب؟  
إذا وصلت المرأة المصرية إلى هذه الدرجة من الحس  
المرهف ، وبلغت في دقة مشاعرها حدا لا تستطيع معه  
أن تستغنى في حياتها اليومية عن الجمال في الألوان  
والأصوات والأفكار ، فلقد حق لنا أن نصيح فرحين  
مهلين بحق : « إن مصر لا تقل عن أرق الدول حضارة »  
وهذه المرأة المصرية ذات الذوق الرفيع والروح المهذب ،  
الدقيقة الإحساس بكل ما هو جميل ، هي نفسها التي تخلق  
الفنان وتوحى إليه ، لأنها لا تستطيع أن تكون بمعزل  
عن أولئك الذين يصنعون الجمال . إنها ستهم بأمره  
وتواليه بالتشجيع ولا تتركه يفرح حتى تستثير خياله ،  
فالمرأة يجب أن تعلم أن « الفنان » ليس إلا « قيثاره » ،  
وأن أناملها الرقيقة وحدها هي التي تستطيع أن تخرج منه  
أجمل الأنغام ..

## المرأة والفنان

الفنان الحقيقي هو ذلك الرجل العجيب الذي تزوج  
« الفن » ، فهل مثل هذا الإنسان يستطيع أن يتزوج  
أيضا « المرأة » ؟ هذا أمر اختلفت فيه الآراء . . ورأى  
الشخصي أن هذا مستطاع ، لو أدركت المرأة أن حياتها  
مع هذا الإنسان لا ينبغى أن تشابه أى حياة أخرى .  
وأن حياتها ستبذل بلائمن لرجل بذل حياته هو أيضاً  
بلائمن ! .

نعم ، يجب أن تفهم امرأة الفنان أن كل حياتها  
ينبغى أن تقدم لزوجها الفنان ، وأن كل رسالتها فى  
الحياة أن تكفل لزوجها الحياة الهنيئة الجميلة التى فى  
كنفها ينتج ويخلق . زوجة الفنان هى تلك التى  
تعنى بزوجها ولا تطالب زوجها أن يعنى بها . هى التى



نزيل متاعب زوجها ، ولا تنتظر من زوجها أن يزيل متاعبها . هي التي تتلقى من زوجها همومه ولا تخبره مطلقاً بهمومها . . . هي ذلك المخلوق الذي يعيش صامتاً صابراً باسمها بجوار الفنان طول العمر ، دون أن يشعره لحظة واحدة بوقر هذا الجوار ، هي التي تقف إلى جانبه دائماً دون أن يفطن إلى أنها موجودة . إن الزوجة التي تستطيع أن تعيش مع « الفنان » هي بالاختصار تلك التي لها رسالة وعقيدة ، هي التي تستحق بصبرها وتضحياتها أن يقرن التاريخ اسمها باسمه . هي التي تضع في قلبها هذه الكلمة : « إنما يعيش الفنان من أجل الفن وتعيش هي من أجل الفنان » .

## المرأة وأشواكها

كثيراً ما يخلط الناس في أمر نظرتي وعلاقتي بالمرأة،  
وإنهم ليتهمونني أحياناً بالتناقض ، إذ يرون أني أحمل  
عليها مرة ، وأشيد بذكرها أخرى . والحقيقة أني في  
كلا الحالين أعتقد ما أقول .

فالمرأة من غير شك هي الزهرة المشرقة في بستان  
وجودنا الآدمي ، زهرة لها نضارتها وعيبرها ، لكن  
لها أيضاً أشواكها .

جمال المرأة وفتنتها : تلك هي في نظري أشواكها  
الحقيقية التي تضع فيها كل سموم سلطانها وسطوتها .  
فالمرأة إنما تشهر علينا نحن الرجال هذا السلاح ، وتقف  
به في وجه أعمالنا ، آمرة فينا وناهية ، صائحة بنا أحياناً  
أن نقف في طريقنا كما تقف القافلة تحت تهديد قطاع

الطريق ، لتأخذ منا كل ما عندنا من وقت ، وقلب ،  
ومال ، وجاه ، وشهرة . إنها لتجردنا من كل شيء ،  
وتتركنا عرأة تحت سلاحها المسلط الخيف !

لعلها تتهمني بالمبالغة ، ولكن هل تستطيع امرأة  
أن تقول لي إن هنالك امرأة في الوجود تعيش لغرض  
آخر غير سلب الرجل ! . إنك إذا فتحت رأس امرأة  
لما وجدت فيه غير هذه الغاية : السطو على رجل !

إن الرجل قد يعيش لعمله ، أو لفكرته ، ولكن  
فكرة المرأة وعملها هو البحث عن الرجل الذي تسلبه  
لحظاته وكل حياته . فإذا نظرت المرأة إلى رجل مشهور  
فإنما تنظر إليه بفكرة واحدة : أن هذه الشهرة لها ،  
وإذا كان غنياً فالمال لها ، وإذا كان لبقاً ظريفاً فكل  
ذلك لسرورها وخدمتها !

لست أتكلم بالطبع هنا عن المرأة المجردة من السلاح ،

ولكني أتكلم عن المرأة ذات الأشواك ، المرأة المدججة  
«بسلاح» الفتنة والجمال . هاهو ذا تاريخ البشرية أمامنا .  
أين هي المرأة الجميلة التي لم تستخدم جمالها في إخضاع  
الرجل ؟؟ كم امرأة في التاريخ جعلت جمالها في خدمة  
« غاية أسمى » من إخضاع الرجل ؟ إن المرأة ليست لها  
الشجاعة أن تنكس سلاح جمالها في وجه الرجل . إن  
المرأة مخلوق « غير ساهي » ، متى وجد في يدها سلاح  
تحركت فيها غريزة السطو والحرب . إن المرأة الجميلة  
هي عدو الرجل المفكر .

## فهرست

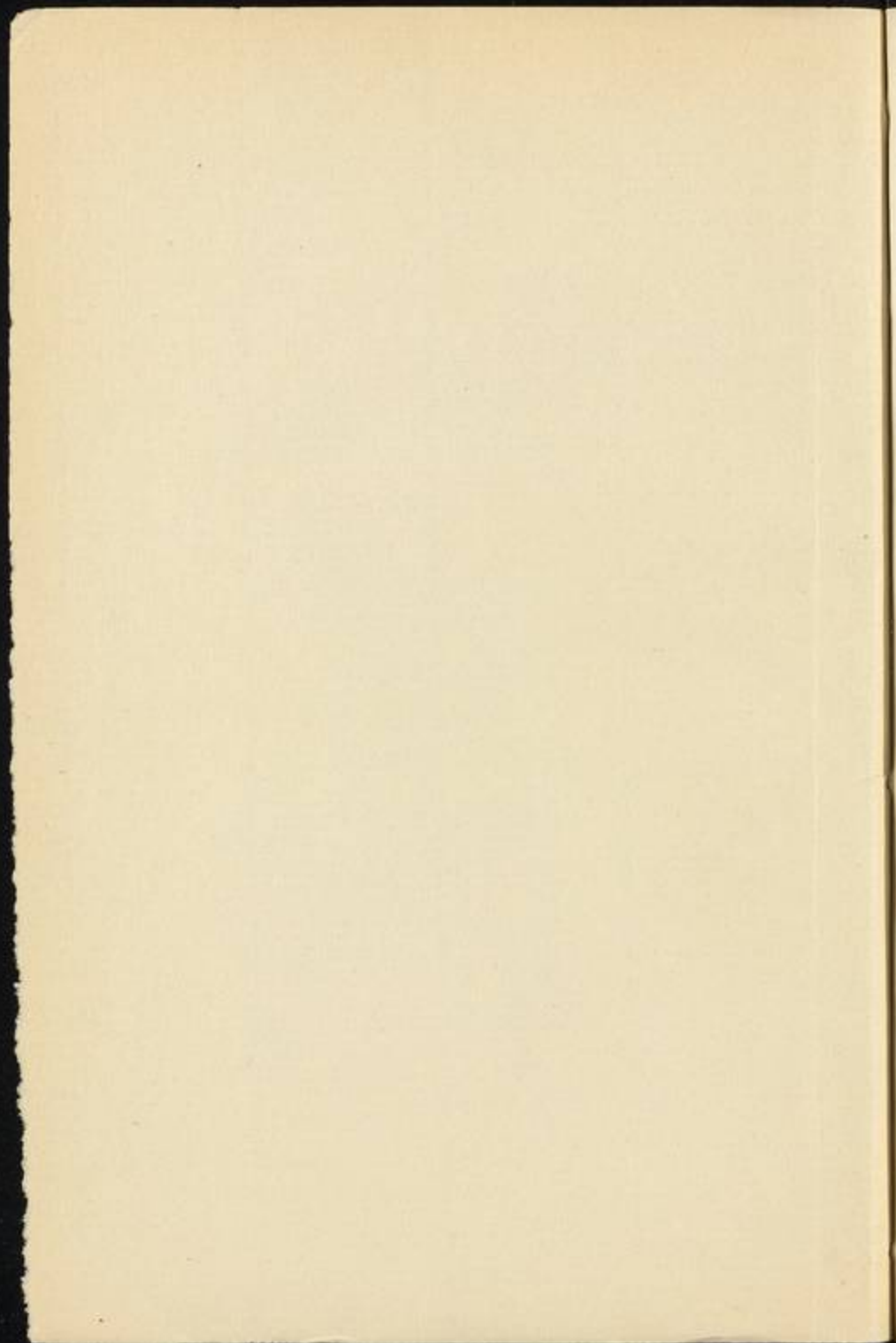
صفحة	
٧	في البرية :
٩ ... ..	منطقة الإيمان
١٧ ... ..	الدفاع عن الإسلام
٣٦ ... ..	نجم أحمد ... ..
٤٥ ... ..	سر العظمة
٥٣	في الأدب والفن والثقافة :
٥٥ ... ..	الخلق
٧٧ ... ..	النقد
١٠٢ ... ..	بين الخالق والناقد
١٠٦ ... ..	منابع الفكر المصري
١١٩ ... ..	الثقافة الشرقية
١٢٥ ... ..	كتلة الروح الشرق
١٢٧	في السياسة :
١٢٩ ... ..	العرائس



صفحة

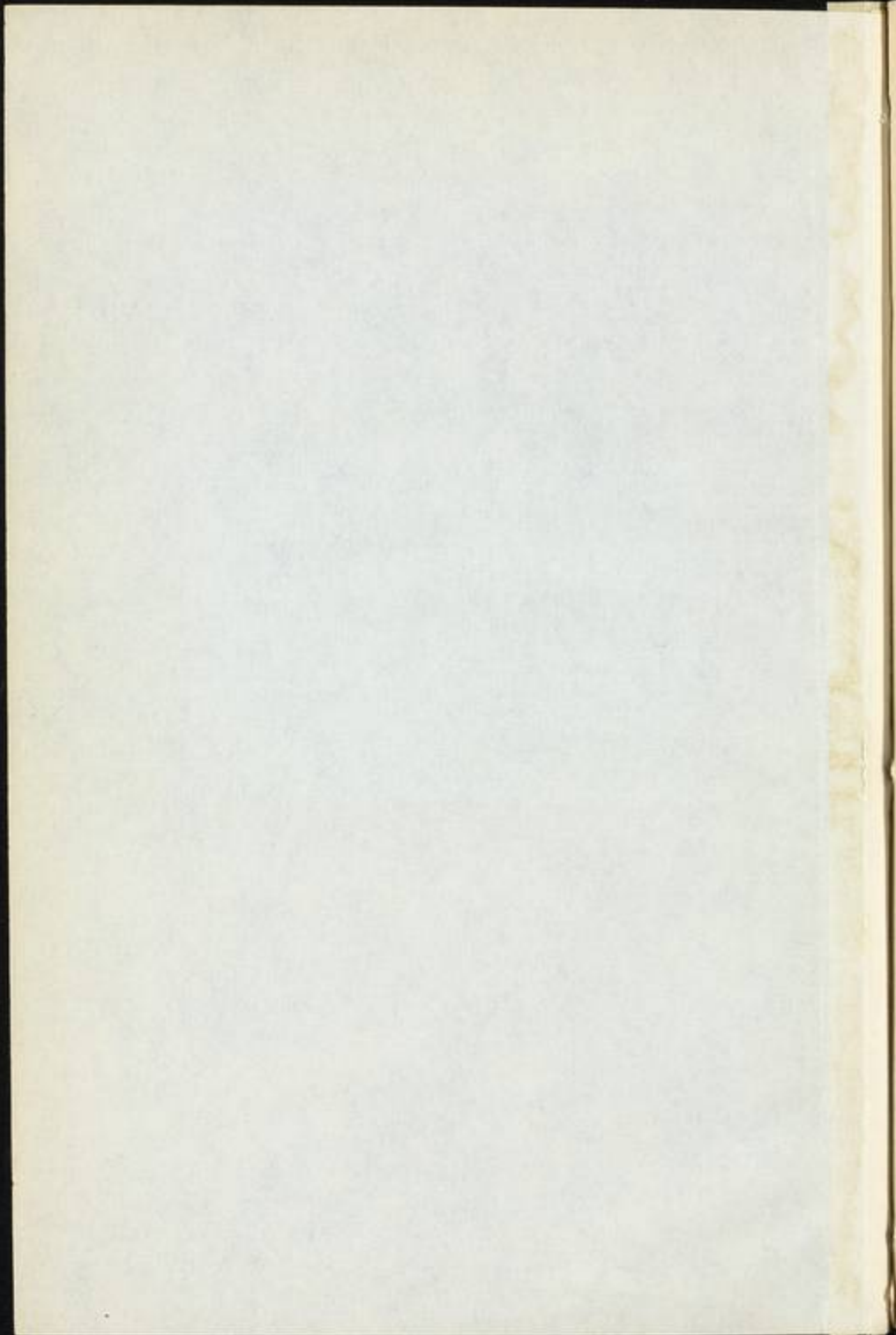
١٣٢	... ..	الشحاذون
١٣٧	... ..	شجرة الحكم
١٥٣	... ..	البعث
١٥٧		في المرأة :
١٥٩	... ..	المرأة والمجتمع
١٦٣	... ..	المرأة والفن
١٧٠	... ..	المرأة والفنان
١٧٢	... ..	المرأة وأشواقها

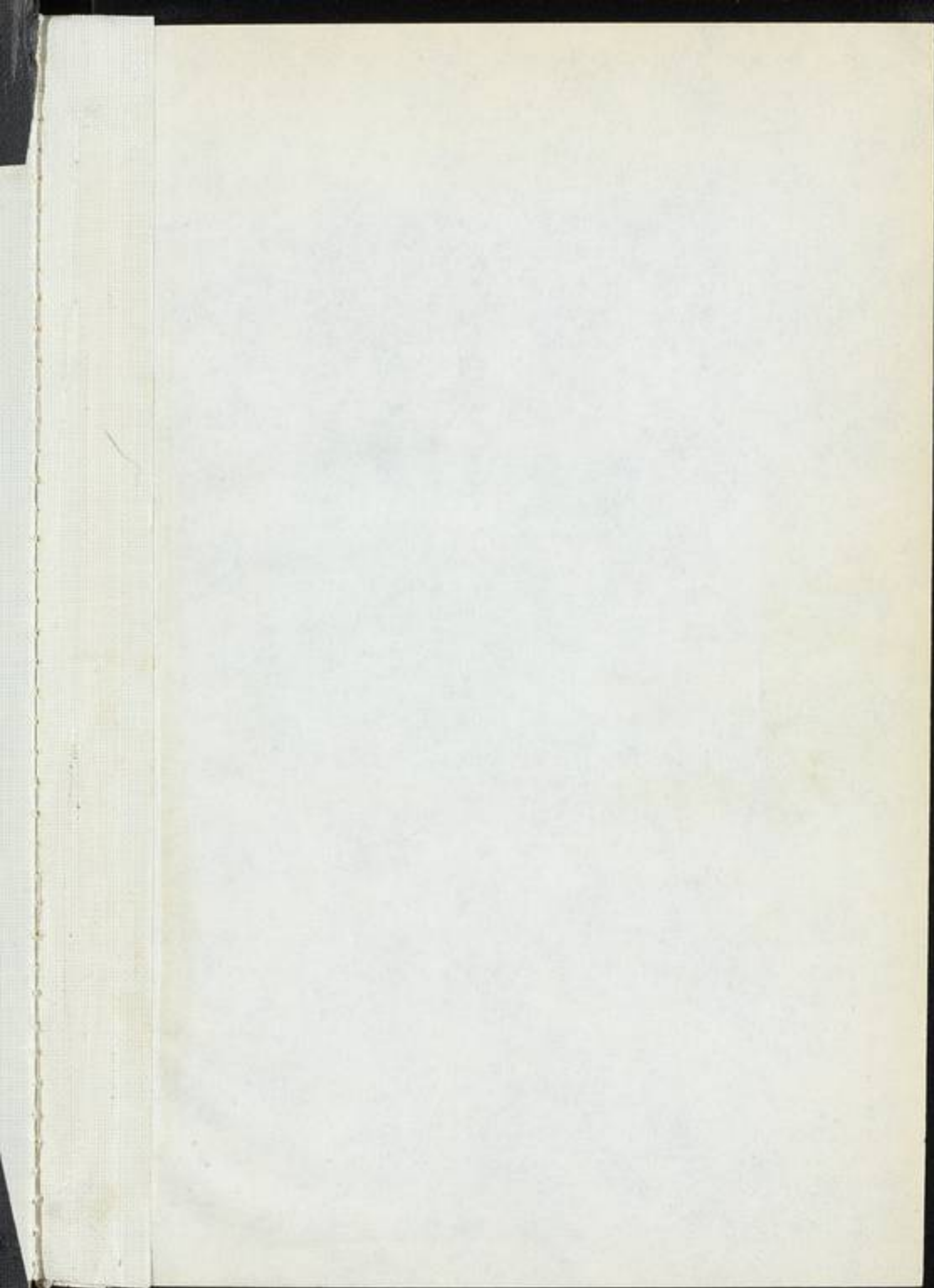




E 11







LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

